الأيقونة
في
القــــرآن الكـــــريم

الدكتور

محمد سامي عبد السلام

كلية الآداب ، جامعة المنيا

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيـع
دار الجديـد للنشر والتوزيع

224

ع . م

عبد السلام ، محمد سامي .

الأيقونة في القرآن الكريم / محمد سامي عبد السلام .- ط1.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع .

148 ص ؛ 17.5 × 24.5سم .

تدمك : **978 – 977 – 308 – 605 - 3**

.1 القرآن- ألفاظ (من الناحية البلاغية) .

أ - العنوان.

رقم الإيداع : 16999 .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز

E-mail: elelm_aleman2016@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

النـــاشـــر : دار الجـــديد للنشـــر والتـــوزيع

تجزءة عزوز عبد الله رقم 71 زرالدة الجزائر

E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣

مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥

ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

[سورة الفاتحة:7]

استهلال :

يدرس هذا الكتاب ظاهرة غريبة لم أجدها إلا في النص القرآني، وهي استعمال اللفظ مضافًا (مثل: عبدُ اللّهِ) في عدّة مواضع ، وفي كل موضع نجد دلالة تجمع بين هذه المواضع المختلفة في المضمون ، وبذلك يصبح اللفظ المضاف علامة للوصول إلى دلالة مشتركة بين النصوص المتعدّدة، فهي دلالة ملازمة لسياقات اللفظ المضاف، ولا تظهر هذه الدلالة بوضوح إلا من خلال الجمع بين النصوص الذي تشترك في اللفظ المضاف.

فمثلاً لفظ (عبد) المفرد جاء في التركيب الإضافي مرتين في القرآن الكريم ، الأولى عندما نطق المسيح عليه السلام في المهد مخاطبًا الناس ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [سورة مريم:30] والثانية في وصف رسول الله محمد ﷺ ، يقول تعالى﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [سورة الجن:19] فعند قراءة كل موضع منفردٍ لا تظهر الدلالة المشتركة بين هذين الموضعين اللذين يشتركان في تركيب (عبدالله) ، لكن من خلال الجمع بينهما نجد أن في كلا الموضعين دلالة تحقيق عملية كلامٍ غير متكافئة الطرفين ، ففي الموضع الأول الرضيع يُكلِّم الكبير، وفي الموضع الثاني الإنس يُكلِّم الجن.

وبذلك يُعدُّ التركيب (اللفظ المضاف) المشترك بين المواضع سبيلا للوصول إلى دلالة مشتركة بينها، لا يمكن التوصل إليها ولا إبرازها إلا من خلال الجمع بين المواضع المتعدّدة، فمع وضوح النص القرآني نجد أن اللفظ المضاف (المركب تركيبًا إضافيًا) يقع أيقونة/ مفتاحًا/ شفرة لدلالةٍ تكشف جانبًا من المعنى العميق.

وفيما يلي تحليلُ ثلاثةٍ وستين لفظًا مضافًا للاسم الظاهر (وليس مضافًا للضمير) وجدتُ فيها هذه الظاهرة بوضوح، وهي بنسبة (36٪) من عدد مائة وسبعة وسبعين لفظًا، هو عدد الألفاظ المضافة للاسم الظاهر في القرآن الكريم، والمضاف فيها ذُكر أكثر من مرة، وليس لازم الإضافة كالظرف، ففي هذا النطاق جاء اللفظ في التركيب الإضافي اختياريًا، فهو غير لازم الإضافة وليس المضاف إليه ضميرًا متصلًا لا يستقل بنفسه؛ وبذلك تبدو إضافة اللفظ كعلامة موضوعة لدلالة مشتركة بين مواضع استعماله مضافًا، وأيًا ما كان حجم الظاهرة ؛ فإنها ظاهرة فريدة أقل ما يُقال عنها أنها تفتح بابًا لقراءة جديدة (أفقية) للنص القرآني، واستنطاق دلالات خفيَّة.

وعلى الله قصد السبيل

د. محمد سامي عبد السلام حسانين

التحليل :

- **أبا أحدٍ – أبى لهب :**

جاء لفظ " أب " مضافاً للاسم الظاهر مرتين ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الأحزاب:40]
2. ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ [سورة المَسَد:1]

والمرة الأولى التي جاءت في سورة الأحزاب تنفي أبوة رسول الله ﷺ لأحدٍ من الرجال ، وقد حرّم الله تعالى التبنى ، وسياق الآية يأمر الرسول ﷺ بالزواج من زينب بنت جحش (رضي الله عنها) مطلقة زيد (رضي الله عنه) ابنه قبل تحريم التبنى تأكيداً على قطع هذه القرابة الاصطناعية (التبني) ، فتركيب " أبا أحدٍ " جاء مع إنفاذ قضاء الله تعالى وأمره الشرعى وإن تعارض مع صلة القرابة .

والمرّة الثانية التي جاءت في سورة المسد فيها إنفاذ لقضاء الله تعالى ، وأمره بالحكم على أبى لهبٍ بالخسران في الدنيا والآخرة ، فقطعت بذلك صلة قرابته برسول الله ﷺ ، فأبو لهبٍ هو : ((أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب))[1]

(1) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 8 / 318

ومن الملاحظ أن في سياق التركيُبيّن حديثاً عن الزوجة (زوجة زيد – زوجة أبى لهب) ، وفي قوله تعالى﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ ﴾[سورة الأحزاب:37]

دلالة على القبض باليد ، وقد صرّح بلفظ اليدّ في قوله تعالى﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ [سورة المَسَد:1] وفي كليهما تفقد اليد ما كانت تمتلكه.

فلفظ (أب) مضافًا للاسم الظاهر جاء في تركيبين مع دلالة مشتركة هي قطع صلة القرابة لأسباب دينية، وليس المقصود من وجود دلالة مشتركة بين مواضع اللفظ المضاف المطابقة أو المماثلة بين المواضع؛ فبالتأكيد هناك فرق بين قرابة التبني وقرابة العصب، وفرق بين زيد رضي الله عنه وأبي لهب، ومع ذلك تجمع الدلالة المشتركة بين موضعي اللفظ المضاف للاسم الظاهر، ليكون اللفظ في هيئته التركيبية علامة لوجود دلالة مشتركة.

أثر الرسول– أثر السجود:

جاء لفظ " أثر" مضافاً للاسم الظاهر مرتين ، الأولى في قوله تعالى ﴿فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا ﴾ [سورة طه:96] يقول الرازي : ((عامة المفسرين قالوا المراد بالرسول جبريل عليه السلام، وأراد بأثره التراب الذى أخذه من موضع حافر دابته))(□)

□

(2) الرازى ، التفسير الكبير ، 22 / 111

والمرّة الثانية في قوله تعالى : ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [سورة الفتح:29]

وذكر الزمخشري أن من تفسير أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ((تراب الأرض))[3]

ففي تركيب (أثر الرسول) جاء لفظ الأثر بمعنى التراب، والآية على لسان السامري يخاطب موسى عليه السلام نبي بني إسرائيل، وهم أهل التوراة وفي تركيب " أثر السجود " جاء لفظ (أثر) بمعنى التراب أيضاً في بعض الأقوال ، والآية في سورة الفتح جعلته مثل المؤمنين في التوراة كتاب بني إسرائيل، وفي كليهما نلحظ أن (الأثر) يحمل دلالة البركة والمهابة والصلة بالله تعالى.

- **أجْلِ ذلك — أجَلُ اللهِ :**

جاء لفظ " أجْل " - بسكون الجيم – مرّة واحدة في القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [سورة المائدة:32] يقول الألوسي عن معنى " أجْل " بسكون الجيم : ((في الأصل الجناية ، يقال : أَجَل عليهم شراً ، إذا جنى عليهم جناية وفي معناه جر عليهم جريرة ، ثم استعمل في تحليل الجنايات، ثم اتسع فيه فاستعمل لكل سبب))[4]

(3) الزمخشري ، الكشاف ، 4 / 238
(4) الألوسي ، روح المعاني ، 6 / 117

فمعنى " أجْل " التعليل والسـبب ، وأصـلها للجناية والتعليل لها ، والقرآن الكريم اسـتعمل لفظ (أجْل) بمعنى (سـبب) في سـياق الحديث عن القتل، وهو انتقاء للفظ دون مرادفه (كلفظ: سـبب أو لذلك) لتحقيق مناسـبة بين المعنى الأصلي للفظ والسياق الوارد فيه.

ولفظ " أجَل " بفتح الجيم قريب في النطق من لفظ " أجْل " بسكون الجيم ، ومعنى لفظ "أجَل" بفتح الجيم : الوقت ، يقول ابن منظور : ((الأجَلُ : غاية الوقت في الموت ، وحلول الدّين ونحوه . والأجَلُ : مدّة الشيء ، وفي التنزيل العزيز ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ﴾ [سورة البقرة:235] أي حتى تقضى عدّتها))[5].

فمعنى " أجَل " بفتح الجيم: الوقت ، وجاء اللفظ مضـافاً للاسـم الظاهر في القرآن الكريم مرتين بمعنى الموت يقول تعالى :

1. ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ [سورة العنكبوت:5]
2. ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [سورة نوح:4]

□

(5) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (أجل) .

فهو تضـــييق لمعنى نهاية مدّة الشـــيء ، ليكون اللفظ بمعنى الموت فقط ، فكلا اللفظين " أجْل " و " أجَل " يـأتيـان مع نهـايـة العمر إمـا القتـل أو الموت ، فهمـا يشتركان في معنى واحد عن طريق تضييق معنىً آخر هو السببُ أو الوقت، فالمعنى الأول (الأوسع) للفظ " أجْل " بسكون الجيم : العلّة والسبب ، والمعنى الثاني الذى جاء في التركيب الإضـافي : التعليل للقتل ، وهو تضـييق للمعنى الأول ، والمعنى الأول (الأوسـع) للفظ " أجَل " بفتح الجيم : الوقت والمدّة، والمعنى الثاني الذي جاء في التركيب الإضافي : الموت (وقت نهاية العمر) وهو تضييق للمعنى الأول .

فالدلالة الجامعة بين تركيب " أجْل ذلك " وتركيب " أجَل اللّهِ " هي دلالتهما على نهاية العمر ، وهي دلالة تأتى عن طريق تضييق المعنى اللغوي في كليهما

إخوان الشياطين – إخوان لوط:

جاء لفظ " إخوان " مضافاً إلى الاسم الظاهر مرتين وذلك في قوله تعالى:

1. ﴿ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧ ﴾ [سورة الإسراء:27]
2. ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴾ [سورة ق: 12 :13]

وكل من إخوان الشياطين وإخوان لوط مذمومان ، فإذا كان التبذير معصية لا تصل إلى الكفر ، فإن وصف المبذرين بإخوان الشياطين ووصف الشيطان بالكفر (تبشيعاً للتبذير) يوجد الدلالة المشتركة بين المبذرين وقوم لوط ، فكلاهما موصوف بالكفر، وقد كان قوم لوط يضعون الشهوة (سبب الحياة) في غير موضعها ، وكذلك شأن المبذرين ، إذ أنّ التبذير وضع الشيء في غير موضعه ، فالمبذرون وقوم لوط يشتركان في وضع الشيء في غير موضعه ، وهو ما يفسّر وصف المبذرين بإخوان الشياطين .

وألفاظ (**تبذر ، تبذيراً ، المبذرين**) من مادة (بذر) ، ولم تأتِ في القرآن الكريم ألفاظ من مادة (ب ذ ر) إلا في هذا الموضوع من سورة الإسراء، يقول ابن منظور عن مادة (ب ذ ر) : ((**البَذْرُ والبُذْر** : أول ما يخرج من الزرع والبقل والنبات ... وقيل هو ما عُزل من الحبوب للزرع والزراعة ... **والبَذْرُ والبُذارَةُ** : النسل ويقال : **إنّ هؤلاء لبَذْرُ سوء . وبَذَر الشيء بَذْراً : فرّقه . وبذّر الله الخلق بَذْراً** : بثهم وفرّقهم ... وبذر ماله : أفسده وأنفقه في السرف . **وكلٌ مما فرّقته وأفسدته فقد بذّرْتَهُ**))[6]

---

(6) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بذ ر) .

إن التبذير وضـع للشـيء في غير موضـعه ، وهو من بذر الأرض ، وهذا ما يجعل مجيء التبذير مع تركيب " إخوان الشياطين " التي تشترك مع تركيب " إخوان لوط " في لفظ المضاف ، يوحى بدلالة مادة (ب ذ ر) على البذر الذى هو سبب الإنبات ، وعلى النسل ، فالنطف بذرٌ في الأرحام ، يقول تعالى ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [سورة البقرة:223] فقد كانت معصية قوم لوط إضاعة نطفهم (بذرها في غير موضعها) بدلاً من بذرها في أرحام النسـاء لتكون سـبب الحياة . فتوحى مادة لفظ التبذير بالدلالة على قوم لوط .

فتركيب " إخوان الشـياطين " يشـترك مع تركيب " إخوان لوط " في أنهما لفئتين ضالتين ، وهما فئتان يشتركان في وضع الشيء في غير موضعه (فمعصية قوم لوط تبذير) ، كما يشـترك التركيبان في مادة (بذ ر) المأخوذ منها لفظ " التبذير " والدلالة على النسل وبذر الحرث الذى أضاعه قوم لوط .

فدلالة " إخوان الشياطين " على " إخوان لوط " عن طريق لفظ المضاف يفسر مجيء ألفاظ (تبذر ، تبذيراً ، المبذرين) في هذا الموضـع من القرآن الكريم دون غيره من المواضع التي جاءت فيها ألفاظ الإسراف من مادة (س ر ف) .

أرض الله:

أضيف لفظ " أرض " للاسم الظاهر أربع مرات ، مرتان في سياق الحديث عن الهجرة في سبيل الله ، إحداهما في خطاب الكفار والأخرى في خطاب المؤمنين ، ومرتان مع الحديث عن ناقة صالح عليه السلام. وهذه المواضع الأربعة كما يلي ،يقول تعالى:

1. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ﴾ [سورة النساء:97]
2. ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الزُّمَر:10]
3. ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة الأعراف:73]
4. ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [سورة هود:64]

فتركيب " أرضُ اللهِ واسعة " جاء ليهاجر في أرض الله من يرغب في الإيمان بعيداً عن وطأة الكفار ، ففي أرض الله رزق الله بعيداً عن استضعاف الكفار للمؤمنين .

وجاء تركيب " تأكل في أرض اللّهِ " ليُبيّن أن الناقة – وهي رســول الإيمان – رزقها على اللّهِ دون مشقةٍ على الكفار، فهي تأكل من رزق اللّه الموجود في أرضه .

فيجمع بين موضعي الهجرة بعيداً عن أذى الكفار ، وموضعى ناقة صالح ما يلى :

1 – أذى الكفار لأهل الإيمان ورسول الإيمان (الناقة) .

2 – التأكيد على أن الرزق بيد اللّه تعالى لا بيد الكفار، فلا يتعارض الرزق مع الإيمان ، بأن يكون الرزق سبب كفرِ المستضعفين ، أو سبب قتل الناقة فقد ذكر ابن كثير أن من أسـباب قتل ثمود الناقة ((ليسـتأثروا بالماء كل يوم))[7] .

فالمواضع الأربعة للتركيب الإضافي " أرض اللّه " جاءت بدلالة تكفّل اللّه تعالى باحتياجات الإنســان والحيوان فلا تتعارض الحاجة للرزق مع الإيمان ، ولم تلازم هذه الدلالة لفظ " أرض " مقطوعاً عن الإضافة أو مضافاً للضمير.

- **أمّ الكتاب -أم القرى- أم موسى:**

جاء لفظ " أم " مضافاً للاسم الظاهر سبع مرات ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران:7]

(7) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 3 / 258

2. ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ﴾ [سورة الأنعام:92]
3. ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[سورة الرعد:39]
4. ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [سورة القصص:7]
5. ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ [سورة القصص:10]
6. ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [سورة الشورى:7]
7. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الزُّخرُف3: 4]

فيرتبط تركيب " **أُمُّ الكِتَابِ** " وتركيب " أُمَّ القُرَى " بالوحى ، كما ارتبط تركيب " أُمِّ مُوسَى " بالوحى من الله تعالى ، وهو ما صرّح به السياق .

ففي جميع مواضع إضافة لفظ " أم " للاسم الظاهر لازمته دلالة الوحي ولم تلازمه هذه الدلالة في غير إضافته للاسم الظاهر.

وفي هذا التلازم الدلالي امتنان من الله تعالى على مكة وأهلها ، إذ أن الوحى صفة ثابتة لأم الكتاب ، ونعمة كان يتمناها أهل مكة ليكونوا كأهل الكتاب ، فقد أعطاها الله تعالى لسابقين عليهم كأم موسى .

□تأويل الأحاديث—تأويل الأحلام – تأويل – رؤياي – تأويل ما:

أضيف لفظ " تأويل " للاسم الظاهر سبع مرات ، وذلك في سورة يوسف وفي سورة الكهف ، ففي سورة يوسف أضيف لفظ " تأويل " في سياق إخبار يوسفَ أباه يعقوب عليه السلام الرؤيا التي رآها ، وكيد أخوة يوسف وعناية الله تعالى به ،وفي سياق رؤيا الملك ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبٗا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [سورة يوسف4 :6].

2. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ﴾ [سورة يوسف:21]

3. ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٞ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٖۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة يوسف43 :44]

4. ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [سورة يوسف:100]

5. ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ﴾

[سورة يوسف:101].

وبذلك جاء معنى التأويل في سورة يوسف لتفسير أحداث لا يُعلم تفسيرها من ظاهرها، فلا يدرك أحد معنى الشمس والقمر والكواكب وسجودها ، أو معنى البقرات والسنابل ، إلا من يعلّمه الله تعالى المراد من هذه الأحاديث .

وكذلك جاء لفظ تأويل مضافاً للاسم الظاهر في سورة الكهف ، في قوله تعالى:

6. ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [سورة الكهف:78]

7. ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [سورة الكهف:82].

وهو تأويلٌ من الخضر عليه السلام للأحداث التي حدثت من أمام موسى عليه السلام، وهي أحداث لم يستطع موسى عليه السلام تفسيرها ، لأن تأويلها لا يدرَك من ظاهرها وإنما هو علم من الله تعالى .

ففي كلا السورتين كان التأويل لأحداثٍ حسية وليس تفسيراً لأقوال ، وفي تأويلها خير، وهو تاويل يؤكد السياق على أنه علم من الله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [سورة يوسف:6]، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة الكهف:65].

وهناك روابط بين مواضع التأويل في سورة يوسف ومواضع التأويل في سورة الكهف تبيّن الدلالة المشتركة للفظ " تأويل " مضافاً للاسم الظاهر في السورتين .

□

وذلك أن التاويل جاء في سورة يوسف لتاويل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لثلاثة أحداث:

1. سجود الشمس والقمر والكواكب.
2. رؤيا السجينين .
3. رؤيا الملك.

وكذلك تاويل الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الكهف كان لثلاثة أحداث :

1. خرق السفينة
2. قتل الغلام
3. إقامة الجدار.

وكل حدث أوّله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يرتبط بمثيله في الترتيب مما أوّله الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فالرؤيا الأولى ليوسف (رؤية الشمس والقمر والكواكب) أوَّلها بأن دخل عليه أبواه وأخوته ساجدين ، وإنما تحقّق ذلك بعد أن أخذ يوسفُ أخاه في دين الملك ، وذلك باتهامه بالسرقة ثم برّأه من ذلك ، والتأويل الأول للخضر كان لما أحدثه في سفينة المساكين من عيب حتى لا يأخذها الملك.

فهناك شبه بين أن يُعاب أخو يوسف باتهامه لغرضٍ في نفس يوسف ، وأن تُعاب السفينة عيباً غير موجودٍ فيها أصلاً ؛ لغرض في نفس الخضر ، كما أنه يوجد شبه في أن يكون الأخذ من الملك وجنده ، وشبه بين نجاة أخى يوسف ونجاة السفينة ، كما أن هناك شبه بين سفينة المساكين وحال إخوة يوسف القادمين من

سفر ، يسألون الكيل ، يقول تعالى ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴾[سورة يوسف:88] والتأويل الثاني ليوسف كان في السجن مع السجينين ، أحدهما أخبره يوسفُ بأنه سيقتل، والآخر أفضلُ حالاً ، إذ أخبره يوسف بأنه سيكون قريباً من الملك : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة يوسف:41].

والتأويل الثاني في سورة الكهف ، كان تأويلاً لقتل الغلام ، وذلك بقوله تعالى على لسان الخضر عليه السلام : ﴿ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴾ [سورة الكهف80 :81].

فوجه الشبه بين الموضعين أن في كليهما اثنين ، أحدهما محكوم عليه بالقتل ، والآخر أفضل حالاً منه.

والتأويل الثالث ليوسف – عليه السلام – كان لتأويل رؤيا الملك ، وقد فسرها بأن البلاد سيأتي عليها أعوام شداد بعد أعوام الخير والرخاء ، وأشار يوسف عليهم بأن يدخرون ما يكون من خير في أعوام الرخاء لأعوام الشدّة

□

، يقول تعالى :

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة يوسف47 :48].

والتأويل الثالث في سورة الكهف كان تأويلاً لإقامة الجدار، إذ بيّن الخضر أنه أقام الجدار لأن تحته كنز ليتيمين ، أراد الله تعالى بذلك أن يدخر لهما الكنز عندما يبلغان سنّ الشدّة، يقول تعالى : ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [سورة الكهف :82].

ووجه الشبه بين الموضعين أن في كليهما ادخار للخير لأعوام قادمة ، وصفت هذه الأعوام بالشداد في سورة يوسف ، ووصفت بأن فيها يبلغ الغلامان أشدهما في سورة الكهف، فهي أعوام الشدّة ، أراد الله تعالى لها خير مدخر محصّن ، كما في سورة يوسف﴿ تُحْصِنُونَ ﴾والحصن يكون بالجدار، والكنز في سورة الكهف كان تحت الجدار، وقد كانت رؤيا الملكِ للبقرات والسنابل، وكان الكنز لغلامين اثنين .

فهناك روابط بين مواضع التأويل في سورة يوسف ومواضع التأويل في سورة الكهف.

□

وهناك أمر آخر في السورتين وإن لم يرتبط بين تأويل يوسف أو تأويل الخضر، إلا أنه تأويل لرقم ترتيب كل سورة منهما في المصحف الشريف داخل الآيات .

ففي سورة يوسف جاء **قوله تعالى**﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَـٰجِدِينَ ﴾[سورة يوسف:4]، وهذه الكواكب فسرها يوسف بأنها أخوتهُ ، والشمس والقمر أبواه ، فيكون ليوسف عليه السلام أحدَ عشر أخاً ، ويكون يوسف الأخ الثاني عشر ، وقد وافق ذلك ترتيب سورة يوسف في المصحف ، فهي السورة رقم (12) في المصحف الشريف .

وفي سورة الكهف، تحدّث الله تعالى عن عدد أهل الكهف **في قوله تعالى** :

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[سورة الكهف:22]، **فالأقوال التي ذكرتها الآية الكريمة عن عدّة أهل الكهف مع كلبهم هي :**

1 – أربعة 2 – ستة 3 - ثمانية

ومجموع هذه الأقوال (الأربعة والستة والثمانية) يساوى رقم: (18) وهو رقم ترتيب سورة الكهف في المصحف الشريف .

ففي كلتا السورتين يوجد عدد رقمي في الآيات يمكن تأويله لنتيجة واحدة ، هي : موافقة رقم ترتيب السورة في المصحف الشريف .

- **آية ملكه – آية الليل – آية النهار:**

جاء لفظ " آية " مضافاً للاسم الظاهر ثلاث مرات وذلك في موضعين يقول تعالى:

1. ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [سورة البقرة:248].
2. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة الإسراء:12] .

□

.3

وتركيب " آية ملكه " الذى جاء في سورة البقرة جاء في سياق الحديث عن بعث الله تعالى طالوت مَلِكاً على بنى إسرائيل ليقاتِل جالوت وجنوده ، فنصر الله طالوت والمؤمنين معه، يقول تعالى : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [سورة البقرة:251].

وقد كانت آية مُلك طالوت التابوت ، وهو ما ذكرته آية التركيب الإضافي مبيّنة أنّ آية ملكه تحتوى أمرين يجتمعان في التابوت ، هما :

1. " سكينة " ، يقول ابن كثير أنّ معناها : ((وقارٌ وجلالة ... وما تعرفون من آيات الله فتسكنون إليها))(8).
2. " بقية مما ترك آل موسى وآل هارون " وقد وصف الله تعالى الآيات التي أعطاها لموسى عليه السلام في موضع آخر بأنها آياتٌ مبصرة ، يقول تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة النمل:13].

ويتحدّث تركيب " آية الليل "وتركيب " آية النهار " في سورة الإسراء عن الليل والنهار اللذين يجتمعان في اليوم الواحد ، ففي اليوم آيتان لكلٍّ منهما صفة:

1 – آية الليل ، وتوصف بالمحو .

□

(8) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 1 / 352

2 – آية النهار ، وتوصف بالمبصرة .

يقول ابن كثير عن وصف " المحو " ووصف " مبصرة " : ((يمتنُّ تعالى على خلقه بآياته العظام فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش))[9] فمحو الليل ليكون سكينة للخلق ، فالسكينةُ صفةٌ لليل ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ [سورة الأنعام:96] و" السكينة هي ما تحتويها " أية ملكه " .

ووصف آية النهار بأنها " مبصرة " هو الوصف نفسه الذى جاء لآيات الله التي أعطاها لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(9) نفسه ، 5 / 32

وموضع تركيب " آية الليل " وتركيب " آية النهار " اللذان يتحدثان عن الليل والنهار جاء في أول سورة الإسراء بعد حديث السورة عن موسى عليه السلام بني إسرائيل.

يقول تعالى:

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[سورة الإسراء:2]

وتـــــُسمى سورة الإسراء بسورة " بنى إسرائيل " وفي هذا السياق في أوّل سورة الإسراء تحدث اللّه تعالى عن فساد بنى إسرائيل ، وتسليط قومٍ أولى بأسٍ شديد عليهم ، ويقول ابن كثير عن هؤلاء المسـلّطين على بنى إســرائيل : ((وقد اختلَفَ المفسـرون من السـلف والخلف في هؤلاء المسـلطين عليهم من هم ؟ فعن ابن عباس وقتادة أنه جالوت الجزري وجنوده ، ســُلّط عليهم أولاً ، ثم أديلوا عليه بعد ذلك ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ [سورة البقرة:251]

ولهذا قال : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾[سورة الإسراء:6] [1].

فتركيب " آية الليل " وتركيب " آية النهار " جاء بعد سـياقٍ يشـير إلى سـياق تركيب "آية ملكه " في سورة البقرة ، وهو ما يؤكد وجود التلازم الدلالي لإضافة لفظ " آية " ، فمع أن تركيب "آية الليل "

□

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5 / 30

وتركيب " آية النهار " يتحدثان عن الليل والنهار ونعمة الله بجعلهما سكوناً وإبصاراً للخلق ، إلا أن الحديث عنهما لازمته

الدلالة التي جاءت مع تركيب " أية ملكه" فالليل والنهار يجتمعان في شيء واحد (اليوم) وآية الليل السكينة ، وآية النهار مبصرة ، كما أن في التابوت " آية ملكه " السكينة وآيات موسى المبصرة .

ويظهر العدول إلى الإضافة لوجود هذه الدلالة المشتركة أنّ المعنى في آية سورة الإسراء يمكن أداؤه دون إضافة ، بأن يكون : (فمحونا الليل وجعلنا النهار مبصراً) لكنه عدل إلى الإضافة: ﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [سورة الإسراء:12] للربط بين آية سورة الإسراء وآية سورة البقرة بدلالة تشير إليها صيغة التركيب الإضافي.

- **بضع سنين:**

جاء لفظ بضع مرتين ، وذلك في التركيب الإضافي " بضع سنين " ، وهما في قوله تعالى :

□

1. ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[سورة يوسف:42].
2. ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة الروم1 :4]

وقد جاء الموضع الأول في سورة يوسف بعد بشارة يوسف عليه السلام لأحد السجينين في تأويل يوسف للرؤيا ، بأنه سيخرج من السجن ، وسيصبح ساقى الملك في مصر، وعند البشـارة (تأويل الرؤيا) طلب يوسـف من السـجين أن يذكره عند الملك ، ولم يحدث أن ذكر ساقى الملك (السجين) يوسفَ إلا بعد بضع سنين ، وكان ذلك سبباً في معرفة صدق يوسف عليه السلام ، وإخراجه من السجن ، فبعث الملك من ينادى يوسـف بلقب الصـديق ، يقول تعالى : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة يوسف:46].

وفي الموضع الثاني في سورة الروم تأتى البشارة بالفرج والنصر الذى به يفرح المؤمنون بعد بضع سنين ، وهو فرجٌ للمؤمنين بنصر الروم أهل الكتاب ، يقول ابن كثير : ((عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كان فارس ظاهراً على الروم ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ، لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم ، فلما نزلت :

□

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾ [سورة الروم1 :4]

قالوا : يا أبا بكر إنّ صاحبك يقول : أنّ الروم تظهر على فارس في بضع سنين. قال : صدقَ . قالوا : هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين، فمضت السبع ، ولم يكن شيء ، ففرح المشركون بذلك وشقّ على المسلمين ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فقال : " ما بضع سنين عندكم؟ " قالوا: دون العشر. قال :

"اذهب فزايدهم وازدد سنتين في الأجل" قال : فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ، ففرح المؤمنون بذلك))(المجلد).

وقد كانت مصر (وهي التي سجن فيها يوسف ثم تولى خزائن الأرض فيها) تحت ولاية الروم قبل الفتح الإسلامى .

فإذا كان وقوع مصر تحت ولاية يوسف وتحت ولاية الروم ، وهي ولاية من آثار النصر لهما ، وكان الجامع بينهما أيضاً تحقّق النصر الذى به يفرح المؤمنون بعد البشارة ، فإنّ جامعاً آخراً يؤكد الربط بين موضعى " بضع سنين " في سورة يوسف وسورة الروم .

□

([11]) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 6 / 125

إذ أن الروايات التي ذكرها ابن كثير في تفسيره لآيات سورة الروم (وهي روايات أخرجها البخاري ومسلم) تذكر أنّ الذى راهن المشركين ، وكان رسولُ رسولِ اللّهِ ﷺ هو أبو بكر رضي الله عنه ، وتذكر الروايات تصديقه لصاحبه ﷺ وقوله : "صَدَق" ، كيف لا ، وأبو بكرٍ رضي الله عنه هو الملقّب بالصدّيق؟!

وهنا يأتي الرابط بين موضعى " بضع سنين " ، فيوسف عليه السلام الذي فسّر الرؤيا، وبشر السجين بالفرج نودى ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ [سورة يوسف:46] ، وأبو بكرٍ الذى أكّد على تحقيق البشارة مصدّقاً وعدَ اللّه تعالى وكلام رسوله ﷺ لقّب بالصديق ، فأيُّ رابطٍ يجمع بين يوسف وأبى بكر؟!

وكأنّ اللّه تعالى بعث من يُنادى يوسف بلقب " الصديق " ، وهو سجين لم تُعلن براءته بعد ، ولم يتولى خزائن الأرض ، ليجمع بين يوسف وأبى بكرٍ في لقب "الصديق" ، وهو يؤكد وجود تلازم دلالي للتركيب الإضافي " بضع سنين " مع تغاير سياق موضعى التركيب .

ففي كلا الموضعين نصر (فرج) يفرح به المؤمنون ، وبشارةٌ تسبق النصر ، ويكون للمنتصر ولاية مصر ، وفي كليهما كانت البشارة على لسان من لُقّب بالصدّيق.

□

- **بالغ الكعبة – بالغ أمره :**

جاء لفظ " بالغ " مضافاً للاسم الظاهر مرتين ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾[سورة المائدة:95].
2. ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾[سورة الطلاق:3]

فالموضع الأول في سورة المائدة جاء للنهي عن قتل صيد الحرم ، وتشريع كفارة لمن فعل ذلك ، حفاظاً على بقاء الحياة داخل الحرم آمنة مستقرة .

والموضع الثاني في سورة الطلاق جاء مع التشريع لأحكام الطلاق ، والنهي عن إخراج الزوجة من بيتها قبل انقضاء العدّة ، والأمر بتقوى الله والتوكل عليه في كل ما يتعلّق بالحياة الأسرية ، وفي شأن الطلاق ، حفاظاً على بقاء الحياة بين الرجل وحرمه باستمرار النكاح (سبب الحياة) وبقاء الأسرة آمنة مستقرة .

فكما أن الهَديَ كفارة تحدّ من الإقدام على قتل صيد الحرم ، فإن الأمر بتقوى الله تعالى والتوكل عليه يحدّ من هدم الحياة الأسرية .

فالطلاق تشريع يحتاج إلى تقوى الله والتوكل عليه ، لتكون الحياة الأسرية والعلاقة بين الزوج والزوجة في حرم الأسرة " بالغة " أي كاملة في كل جوانبها ، ومن أي نقصٍ يعتريها .

□

فإذا كان الطلاق نقص في الحياة الأسرية لأنه مفارقة لهذه الحياة ؛ فإن تقوى اللّه والتوكل عليه في أمر الزوجة ، وفي استعمال تشريع الطلاق ، يُبقى على الحياة الأسرية.

والهدى كذلك يكمّل ما نقص من أمن الحرم وصيده ، لذا كان هدياً بالغَ الكعبة، حتى يعود بالإكمال على ما اعترى الحرم من نقص .

فهناك دلالة جامعة بين موضعي إضافة لفظ " بالغ " للاسم الظاهر مع تغاير سياقهما ، هذه الدلالة تأتى من التشبيه بين الحياة الآمنة داخل الحرم ، والحياة المستقرة داخل الأسرة ، إذ يكمّل المشرّع الحكيم ما يعترى هذه الحياة من نقص (من صيد أو طلاق أو إخراجِ الزوجة من بيتها) بالهدى وبتقوى اللّه تعالى والتوكل عليه.

- **بهيمة الأنعام :**

جاء تركيب " بهيمة الأنعام " ثلاث مرات ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة المائدة1 :2]
2. ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)﴾ [سورة الحج:26:28]
3. ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤)﴾ [سورة الحج32 :34]

ففي المرّة الأولى في سورة المائدة جاء التركيب الإضافي " بهيمة الأنعام " في سياق الحديث عن حرمة بيت الله الحرام ، وحرمة الشهر الحرام ، والنهي عن التصدي للهَديَ أو القلائد أو التصدى لمن قصد البيت الحرام .

فالآيات تتحدّث عن حرمة مطلقة للبيت الحرام ، ولكل من جاءه من إنسان أو حيوان ، فلا يحقّ للإنسان الصيد من بهيمة الأنعام وهو محرِم ، لأن بهيمة الأنعام عندها تكون من شعائر الله المسخّرة والمنقادة لبيت الله الحرام .

وقد جاءت المرة الثانية والثالثة في سورة الحجّ ، وهما في سياق الحديث عن فريضة الحج، فالمرة الثانية يأتى تركيب " بهيمة الأنعام " مع أمر الله تعالى لنبيه إبراهيم بتطهير البيت ليكون مُعدًّا لفريضة الحج ، حيث يأتى الناس للبيت الحرام من كل فجٍ عميق، وفي المرة الثالثة يتوجه الخطاب لأمة محمد ﷺ ، فهم الموحّدون أتباع ملّة إبراهيم عليه السلام ، حنفاء للّه غير مشركين به ، ليجيبوا نداء أبيهم إبراهيم بأداء فريضة الحج، مع الأمر بتعظيم شعائر الله التي تأتى إلى البيت العتيق ، لأنها تدخل في حرمة هذا البيت الحرام .

فجميع مواضع تركيب " بهيمة الأنعام " جاءت مع الحديث عن فريضة الحج أثناء القيام بأداء الفريضة ، ودخول الإنسان والحيوان في حرمة البيت الحرام ، فتأتى البهائم من كل مكانٍ إلى البيت العتيق منقادة لأمر ربها .

□

ويوضح اختصاص التركيب الإضافي " بهيمة الأنعام " بدلالة الدخول في فريضة الحج وفي حرمة البيت الحرام ، أنّ سورة الحج تذكر لفظ " الأنعام " دون إضافة لفظ " بهيمة " إليها ، وذلك بين موضعى تركيب " بهيمة الأنعام

، والسبب في مجيء لفظ " الأنعام " دون إضافة أن اللفظ يأتى بعد التصريح بانتهاء فريضة الحج ، يقول تعالى :﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾[سورة الحج29:30].

فبعد انتهاء فريضــة الحج يأمر الله تعالى عباده أن يراعوا ما قد أدوه من فريضــة ، فيقوّم الحجّ حياتهم بعد أداء الفريضــة ، فهو ســبحانه يأمرهم بتعظيم حرمات الله (وليســت "شــعائر الله" لأن الشــعائر داخل فريضــة الحج في الحَرَم) ويأمرهم بأكل ما أحلّ لهم من الأنعام.

□

فتركيب " بهيمة الأنعام " تلازمه دلالة الدخول في حرمة البيت الحرام وحرمة أداء فريضة الحج ، وهو ما جاء في سورة المائدة (مرّة واحدة) وفي سورة الحج (مرتين) بينما لم يرد لفظ " بهيمة " في غير هذه المواضع ، وكان من الممكن أداء المعنى دون إضافة لفظ "بهيمة " إلى لفظ " الأنعام " ، وقد جاء لفظ " الأنعام " من غير أن يضاف إليه لفظ " بهيمة " في سورة الحج وفي غيرها في القرآن الكريم دون تلازمٍ لدلالة الدخول فى حرمة البيت الحرام وأداء فريضة الحج .

ولفظ " بهيمة " يدل على الاستسلام والانقياد ، وهو مأخوذ من دلالة اللفظ

على عدم إدراك حقيقة الأمر ، فالمبهم: غير المدرك ، يقول ابن منظور: ((واستبهم عليه الأمر: استغلق... وإبهام الأمر: أن يشتبه فلا يعرف وجهه))[12] فدلالة استغلاق الأمر تتطلب الاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالى وإن لم تُدرك حقيقة المراد منها ، ومن هذه الأوامر شعائر فريضة الحج التي يؤديها المسلم اتباعاً لإبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وهو ما يجعل للفظ المضاف " بهيمة " دلالة تناسبُ هذا الاختصاص ، ولعلّ المراد بها امتنان الله بتسخير هذه البهائم للإنسان ، والأمر بتركها منقادة (مُسَخَّرة) للبيت العتيق ، وهو مناسب لوجوب التسليم لله والإذعان لأمره وحده ، وهو أمر التوحيد الذى ارتبط به البيت العتيق وإبراهيم عليه السلام قبل دعاوى الشرك والتثليث .

□

(12) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بهم) .

فتركيب " بهيمة الأنعام " يدلّ على الامتنان والانقياد ، وهو تعظيم لشأن شعائر الحج ، إذ تختص أنعامها بالتركيب الإضافي ، كما تختصّ هذه الفريضة بالتسليم والانقياد لله وحده إلى مكان محدّد ، يتجه فيه الموحدون لله في إذعان وتسليم .

- **أبواب كلّ — أبواب السماء — أبواب جهنم :**

جاء لفظ " أبواب " مضافاً للاسم الظاهر ست مرّات ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة الأنعام44 :45]

3. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠ ﴾ [سورة الأعراف:40].
4. ﴿ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩ ﴾ [سورة النحل:29]
5. ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ ﴾ [سورة الزُّمَر:72]
6. ﴿ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ ٧٦ ﴾ [سورة غافر:76]

7. ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ ﴾ [سورة القمر10 :11]

□

لقد جاء تركيب "أبواب كل" في سـورة الأنعام مع الحكم على الكفار بالعذاب، فالأبواب تفتح لهم اسـتدراجاً للعذاب ، يقول ابن كثير: ((أى فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارونه وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم))[13].

وكذلك جاء تركيب " أبواب السماء " في سـورة الأعراف مع الحكم على الكفار بالعذاب، فمعنى أن لا تفتح للكفار أبواب السماء -كما ذكر ابن كثير- : ((لا يرفع لهم منها عمل صالح ولا دعاء... وقيل : المراد لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء))[14].

(13) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 3 / 153
(14) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 3 / 242

كما جاء تركيب " أبواب السماء " في سورة القمر – في الموضع السادس – بعذاب الله لقوم نوح عليه السلام .

وبذلك جاء لفظ " أبواب " مضافاً في هذه المواضع الثلاثة إلى لفظيّ " السماء " و" كلّ " مع دلالة الحكم بالعذاب على الكفار، وهو ما يتوافق مع المواضع الثلاثة التي جاء فيها تركيب " أبواب جهنم " بدلالة الحكم بالعذاب على الكفار، إذ يؤمرون بالدخول في أبواب جهنم.

وكما أنّ جميع هذه المواضع الستة تشترك في الحكم على الكفار بالعذاب تشترك أيضاً في ذكر سياق كلٍ منها اعتراف الكفار بكفرهم واستحقاقهم العذاب ، فقد جاء هذا الاعتراف في سياقات المواضع الستة التي أضيف فيها لفظ " أبواب " ، كما يلي ، يقول تعالى :

1. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الأنعام:30] .
2. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف:37]
3. ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة النحل:27]

4. ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ [سورة الزُّمَر: 71].
5. ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة غافر 73 :74].
6. ﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ٨ ۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠﴾ [سورة القمر 8 :10].

وفي هذا الموضع في سورة القمر يعترف الكفار بشدة الموقف يوم القيامة ، فهو يوم عسر لأنهم أدركوا ما هم عليه من ضلال ، وهم في ذلك (مهطعين إلى الداعي) بعدما كانوا يرفضون الاستجابة إلى داعي الحق في الدنيا ، كرفض قوم نوح دعوة نوح عليه السلام الذى يتحدث عنه السياق ، ويشير إلى أنه " الداعى " بدعائه الله تعالى ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ ﴾ [سورة الدخان:22]فالسياق يربط بين اعتراف الكفار بضلالهم يوم القيامة وكفار قوم نوح الذين استحقوا العذاب بفتح أبواب السماء عليهم .

□

فالجامع المشترك بين هذه التراكيب أن جميعها في سياقات عذاب الله تعالى للكافرين ، مع الاعتراف في يوم القيامة بضلالهم ، واستحقاقهم العذاب، بينما جاء لفظ " أبواب " مقطوعاً عن الإضافة أو مضافاً للضمير من غير تلازمٍ لهذه الدلالة ، مثل قوله تعالى﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة ص:50] .

- **بال النسوة – بال القرون :**

جاء لفظ " بال " (بمعنى الشأن) مضافاً للاسم الظاهر مرتين ، وذلك في قوله تعالى:

1. ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة طه49 : 51].

ويجمع بين الموضعين ما يلي :

1 – أن في كليهما جاء لفظ " بال " في صيغة الاستفهام " ما بال " .

2 – وكلاهما حوار في مصر ، ومع ملك مصر.

□

3 – وفي كليهما رسولان ، فالسائل في الموضع الأول تصفه الآية بالرسول ، وهو يسأل " ما بال النسوة ؟ " على لسان رسول الله يوسف عليه السلام ، فالسائل في الموضع الأول رسول من رسول ، ففي الآية رسولان . وكذلك في الموضع الثاني جاء فيه رسولان ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة طه:47]وهذان الرسولان هما موسى وهارون عليهما السلام، إذ أن هارون أفصح منه لساناً.

4 – وقد كان السؤال في كليهما عن أمر ملبسٍ عند الحاكم ، طلباً للحقيقة التي حدثت في الماضي ، فسؤال " ما بال النسوة ؟ " طلبٌ لحقيقة مراودة امرأة العزيز في الماضي ، وهي مراودة خفيّة ، وسؤال " ما بال القرون الأولى ؟ " طلبٌ لحقيقة ما خفي من أمر السابقين في الزمن الماضي فهو سؤال لما هو غيبي في الماضي ، كما يقول الزمخشري عن سؤال فرعون: ((وكان سأله عن حال من تقدّم وخلا من القرون ، وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد ، فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب ، وقد استأثر الله به ، لا يعلمه إلا هو))(15).

(15) الزمخشري ، الكشاف ، 3 / 149

- **بيوت آبائكم ... بيوت النبى :**

جاء لفظ " بيوت " مضافاً إلى الاسم الظاهر تسع مرات ، ثماني مرات في آية ، ومرّة واحدة في آية أخرى ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ ﴾[سورة النور:61].

ۚعَزَلۡتَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ

3. غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡ ﴾ [سورة الأحزاب:53].

فآية سورة النور ترفع الحرج عن الأكل في بيوت الأقارب بعد الأذن والسلام ، كما تبيّنه الآية ، وآية سورة الأحزاب تبيح دخول بيوت النبي ﷺ بعد الإذن ، وهي تخصّ الأكل كسببٍ للدخول إلى بيوت النبي ﷺ ،

ويتضّح ذلك من سبب نزول الآية الذى ذكره ابن كثير : ((عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما تزوج رسـول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدّثون فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قامَ قامَ من قام ، وقعد ثلاثة نفر ، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا فانطلقوا ، فجئتُ فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل ، فذهبتُ أدخلُ ، فألقى الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ ... ﴾[سورة الأحزاب:53] (16)).

فإذا كانت آية النور لإزالة الحرج من الأكل في بيوت الأقارب أو الأصـدقاء ، فإن آية الأحزاب تنهى عن المكث والاستئناس لحديث في بيوت النبي بما يسبب له الأذى فيسـتحى من ردّهم ، إلا أن يكون الدخول للأكل وبعد الاسـتئذان ، فعندها لا حرج على الداخلين (كما في آية النور) وليس في ذلك أذى لرسـول الله ﷺ لعدم طول المكث بلا حاجة .

فالآيتان تكمّلان بعضـهما البعض مع وجود الفارق بين المضـمونين ، والجامع بينهما هو: الحكم في مسألة دخول البيوت للطعام وهو ما يباح بعد الإذن في سـورة النور، ويسـتثنى من النهي في سـورة الأحزاب ، وفائدة هذا التكامل بين الآيتين أن الإباحة في سورة النور يكمّلها مراعاة حاجة صاحب البيت ، وهو الفرق بين مطلق الإباحة وتقييد الاستثناء .

(16) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 6 / 215.

فالتركيب الإضافي بمثابة إشارة إلى اكتمال التشريع فيما يتعلق بهذه المسألة في موضع آخر، ولم تلازم هذه الدلالة (الأكل في بيوت الأقارب والأصدقاء) لفظ بيوت في غير إضافته للاسم الظاهر.

- **ثلثا ما ترك – ثلثى الليل :**

لم يأت لفظ " ثلث " مضافا للاسم الظاهر إلا مرتين وذلك في حالة تثنيته ، في قوله تعالى:

1. ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ﴾

[سورة النساء:11].

2. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ ﴾ [سورة المزَّمل:20].

وتتحدث آية سورة النساء عن الأنصبة المستحقة للورثة ذكورا وإناثا ، وتفصّل نصـيب الوارثات ، فلبنات الميت فوق الاثنتين الثلثان ، أى للبنتين مع وجود أختهما أقل من الثلثين ، وإن مات عن بنتين فقط فلكل واحدة منهما الثلث ، وإن مات عن بنت واحدة فلها النصف مما ترك .

ومعنى ذلك أن أنصبة الإناث (مع عدم وجود الذكر): أقل من الثلثين ، الثلث ، النصف.

وتتحدث آية المزمل عن قيام الليل ، بتفصيلٍ في مقدار القيام في الليل ، مبيّنة أن مقدار القيام كما يلى : أدنى (أقل) من الثلثين ، النصف ، الثلث .

فتشترك آية سورة النساء وآية سورة المزمل فيما يلى :

أولاً : وجود الستر في كل منهما ، فالستر موجود في الليل وفي الموت وفي النساء .

ثانيا : التفصيل الذي جاءت به آية المزمل يشبه قسمة المواريث ، **ففي كليهما**: أقل من الثلثين ، الثلث ، النصف .

ويلاحظ أن آية سورة المزمل لم تذكر مقدار الثلثين ، وإنما جاءت بمقدار " أدنى من ثلثى الليل " ، وكذلك لم يصرح بقسمة البنتين في آية النساء ، فللبنتين الثلثان ، وإنما جاء بقسمة البنات أكثر من اثنتين ، فجعل لهن الثلثين ، أى للبنتين منهن أدنى من الثلثين لوجود أخت لهما.

فمما يثير الملاحظة أن آية المزمل لا تذكر مقدار الثلثين وإنما " أدنى من الثلثين" ، وآية النساء لا تذكر نصيب البنتين وهو الثلثان ، وإنما تذكر نصيب من هنّ فوق اثنتين ، والذى يقتضى أن للاثنتين الثلثين ، فهناك عدول عن ذكر نصيب البنتين بدليل أن في آخر سورة النساء تشريعاً لنصيب أخوات الميت (مع عدم وجود الولد) ويصرح بنصيب الأختين وهو الثلثان ، **يقول تعالى** :

﴿...فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ...﴾ [سورة النساء:176]

فكل من آية سورة المزمل وآية سورة النساء (التي ذكر فيهما التركيب الإضافي) تحدد ما هو أقل من الثلثين .

- **جذع النخلة – جذوع النخل :**

لم يرد لفظ " جذع " إلا مرتين وذلك في تركيب " جذع النخلة " في موضع واحد ، وهو في سياق الحديث عن ميلاد المسيح عليه السلام ، **يقول تعالى** :

1. ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[سورة مريم23 :25].

ولم يرد لفظ " جذوع " إلا مرة واحدة وذلك في تركيب " جذوع النخل " وهو في سياق وعيد فرعون للسحرة بعد إيمانهم بموسى عليه السلام ، يقول تعالى على لسان فرعون ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾[سورة طه:71] .

ويتحدث أبو السعود عند تفسيره لآية " جذع النخلة " في سورة مريم عن فائدة مجيء المخاض عند جذع النخلة بقوله : ((لتستتر به وتعتمد عليه عند الولاة))(يرلج) وذهب عدد من المفسرين – كالألوسي – إلى أن هزّ الجزع ليكون سبباً في الرزق ، يقول الألوسي : ((ولو شاء أحَنى الجذع من غير هزّه إليها ، ولكن كل شيء له سبب))(سملج) .

والملاحِظ لصورة المخاض ودلالة الجذع الثابت ، يستطيع إدراك أن من يهزّ شيئا ثابتاً جامداً لن يهزّ إلا نفسه ، فجذع النخلة لا يهتزّ بيد من يهزّه ، ولكن الواقع أن من يهزّه هو الذى سيهتزّ بجسده ، وهو المطلوب فعله من السيدة مريم حين الولادة، فقد جاء الأمر للسيدة مريم بهزّ جزع النخلة مراعاة لأدب الحوار معها، وحقيقة المراد أن الهز يكون منها .

وقد جاء تركيب " جذوع النخل " مع إعلان السحرة دخولهم في الإيمان وإتباعهم الدين الجديد ، دين موسى عليه السلام ، وإيمان السحرة خالف الأفكار السائدة عند الناس ، إذ كان الناس وقتها يعتقدون في قدرة السحر ، وكان السحر من أسلحة الفرعون لإرهاب الناس وإقناعهم بكذب موسى عليه السلام ، فقد كان إيمان السحرة دليلا على صحة الدين الجديد ، ومناقضـًا للأفكار السائدة عن قدرة السحر وقوّة فرعون .

---

(17) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ، 4 / 236 .
(18) الألوسي ، روح المعانى ، 16 / 85 .

ففي كلا الموضعين ميلاد للإيمان بدين الله الجديد ، وهو ميلاد مخالف الأفكار السائدة عند الناس ، ويدعوهم إلى تحريك عقائدهم الفاسدة وصولا إلى العقيدة الصحيحة الثابتة .

فميلاد السيد المسيح عليه السلام بلا أبٍ يخالف الأفكار السائدة عند الناس ويدعوهم للإيمان بقدرة الله المطلقة على الخلق ، وميلاد الإيمان عند السحرة وأمام أعين الناس ميلاد جديد قويّ ومعلن للدين .

- **جامع الناسِ – جامع المنافقين :**

جاء لفظ " جامع " مضافاً للاسم الظاهر مرتين ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [سورة آل عمران:9] . وهي في سياق الحديث عن الآيات المحكمة والآيات المتشابهة وانقسام الناس حولها يقول تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران:7]

□

2. قوله تعالى ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [سورة النساء:140] .

يقول الزمخشري: ((والمنزّل عليهم في الكتاب هو ما نزّل عليهم بمكة من قوله﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [سورة الأنعام:68] وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم ، فيستهزئون به ، فنُهيَ المسلمون عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه ، وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين ، فنُهوا أن يقعدوا معهم – كما نُهوا عن مجالسة المشركين بمكة – وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار هُمْ المنافقون))[19] ففي هذا الموضع الذى ينهى الله فيه عن القعود مع من يستهزئ بآيات القرآن ؛ ينقسم الناس إلى مؤمن بالقرآن وإلى مكذّب مستهزئ ، ويفيد ما ذكره الزمخشري أن الاستهزاء كان من أحبار اليهود أيضاً، وهو استهزاء ممّن ينبغى فيه العلم بالكتاب وتأويل القرآن تأويلاً صحيحاً، لكنهم أرادوا بتأويله الفتنة، هذه الفتنة التي تأتى من الحديث في آيات القرآن ممّن ينبغى بهم العلم والإيمان هي العلّة في النهى عن القعود مع المستهزئين .

(19) الزمخشري ، الكشاف ، 1 / 501

وعليه اشــترك الموضــعان في الإشـــارة إلى من يرغب في الخوض في آيات الله مؤوّلاً وليس وراءه إلا الفتنة.

- **جانب البرّ – جانب الطور – جانب الغربى:**

جاء لفظ " جانب " مضافاً للاسم الظاهر ست مرّات ، وذلك في **قوله تعالى:**

1. ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ﴾ [سورة الإسراء:68].
2. ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [سورة مريم:52].
3. ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ ﴾

   [سورة طه:80]
4. ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة القصص:29]
5. ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾[سورة القصص:44]
6. ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ [سورة القصص:46]

إن المرّات الخمس الأخيرة جاءت لشيء واحد هو جانب جبل الطور، أمّا المرّة الأولى (وهي آية سورة الإسراء) جاءت لغير ذلك ، إلا أنها ارتبطت بالمواضع الأخرى فيما يلى :

1. سورة الإسراء (وتسمى " بنى إسرائيل") تركز الحديث عن بني إسرائيل في أولها وآخرها ، وهو ما يرتبط بالمواضع الأخرى التي جاء فيها جانب الطور.
2. في آية سورة الإسراء ذِكرٌ للخسف ، وكأنّه إشارة إلى ارتباط الخسف ببنى إسرائيل، إذ لم يذكر الخسف في القرآن الكريم وقد وقع فعلاً إلا لفرعون وقومه: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [سورة القصص:81] وهي لقارون ، وقوله تعالى ﴿ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ [سورة العنكبوت:40] وهي لقارون وفرعون وهامان ، فدلّ ذلك على أنّ الخسف إشارة إلى ما حلّ بقارون بعدما آتاه الله الكنوز، وقد أنجى الله بنى إسرائيل من فرعون وجنوده، فكان ذلك امتناناً من الله بنعمة النجاة ، ووعيداً إن خالفوا بأن يلحق ببنى إسرائيل مثل ما لحق بقارون الذى كفر بنعمة الله عليه.
3. والخسف الذي جاء مع تركيب "جانب البر" قريب في المعنى من الدكّ الذى حدث لجبل الطور عندما كلم الله تعالى موسى عليه السلام، فالخسف هبوط في الأرض ، يقول ابن منظور: ((**خَسِف الله به الأرض خَسْفاً أى : غاب به فيها ... خَسَف المكان يخسِف خسوفاً : ذهب في الأرض**))[20].

(20) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خسف) .

فالخسف نزول إلى الأسفل، كما أن الدّكّ تسوية ما علا من الأرض ، بهبوطه إلى أسفل ليكون مساوياً للأرض ، يقول ابن منظور عن معنى الدكّ : ((الدَكُّ : هدم الجبل والحائط ونحوهما ... ودَكَّ الأرض دَكاً : سوّى صعودها وهبوطها))[21] فالخسف قريب من الدّكّ الذى حدث بجبل الطور عندما كلم الله تعالى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يقول ابن كثير عن جبل الطور:

((هو الذى كلمه الله تعالى عليه وسأل فيه الرؤية وأعطاه التوراة هناك))[22]

فمجيء الخسف مع تركيب " جانب البر " في سورة الإسراء (بنى إسرائيل) يشير إلى امتنان الله على بنى إسرائيل بنعمة التوراة عند جانب الطور، والتذكير بها، وبذلك تكون الدلالة الملازمة للفظ " جانب " مضافاً للاسم الظاهر: الخسف أو الدكّ للمكان ، مع دلالة الوحي لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهداية بني إسرائيل .

- **جواب قومه :**

(21) ابن منظور، لسان العرب ، مادة (دكك) .
(22) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 5 / 180.

لم يأتِ لفظ " جواب " إلا في التركيب الإضـافي " جواب قومه " وذلك في أربع مرّات في القرآن الكريم ، يقول تعالى :

1. ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [سورة الأعراف81 :82]
2. ﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة النمل:56].
3. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة العنكبوت:24]
4. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة العنكبوت:29].

فقد جاء تركيب " جواب قومه " ثلاث مرات وأريد به جواب قوم لوط ، وذلك في سورة الأعراف ، وسورة النمل ، وفي سورة العنكبوت الآية (29) .

وجاء التركيب مرّةً وأريد به جواب قوم إبراهيم ، وذلك في سـورة العنكبوت الآية (24) قبل مجيء التركيب مع قوم لوط .

فقد لازم تركيب " جواب قومه " الحديث عن قوم لوط ، على الرغم من أنّ قوم لوط لم يكونوا وحدهم الراغبين في إخراج نبيهم ، فقد كانت هذه الرغبة موجودة عند غيرهم مثل قوم شعيب ، يقول تعالى :-

﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [سورة الأعراف:88].

ولعلّ المراد من اختصاص قوم لوط بالتركيب الإضافي " جواب قومه " لبيان أن رغبة قوم لوط كانت رغبة جماعية في إخراج نبيهم ، ولذلك لم يكن منهم رجلٌ رشيد كما يقول تعالى على لسان لوط عليه السلام : ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [سورة هود:78] وقد أُمر لوط عليه السلام أن يسير بأهله قبل وقوع عذاب الله بقومه دون الحديث عن مؤمنين معه﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ [سورة هود:81] فلما كانت رغبة قوم لوط رغبة جماعية جاء اللفظ الدال عليها: "جواب قومه" وليس "قالوا" الدالّ على رأيٍ قالته مجموعة من قومه دون مجموعة أخرى .

ولذلك جاءت رغبة إخراج شعيب عليه السلام من قريته مع اللفظ الدال على أنها رغبة بعض قومه : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ [سورة الأعراف:88]، فهي رغبة لم تكن جماعية ،

يؤكد ذلك وجود من يناصر شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ من قومه كما يقول تعالى على لسان قوم شعيب ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ [سورة هود: 91] وهذا يوضّح أنّ تركيب " جواب قومه " جاء لقوم لوط لأن رغبة إخراجهم للوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ رغبة جماعية ، فهي جواب أي ردٌّ من كل قومه ، وليست أقوالاً يُنظر فيها .

فإذا كان تركيب " جواب قومه " قد دلّ على حال قوم لوط ورغبتهم الجماعية بما يجعله خاصاً بقوم لوط ، فلماذا عدل إلى التركيب الإضافي " جواب قومه " عند الحديث عن قوم إبراهيم؟.

لقد جاء تركيب " جواب قومه " ويراد به قوم إبراهيم مع ربطٍ واضح من الآيات بين إبراهيمَ ولوطٍ – عَلَيْهِمَا السَّلَامُ – لأكثر من مرّة ، فالآيات في سورة العنكبوت تبيّن أنّ لوطاً عَلَيْهِ السَّلَامُ مزامِنٌ لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وهو من أتباع ملّة إبراهيم ،يقول تعالى ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [سورة العنكبوت:26] كما أنها تبيّن خوف إبراهيم على لوطٍ وقومهِ عندما علم من الملائكة أنهم سيهلكون أهل قرية لوط ،

يقول تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ﴾ [سورة العنكبوت31 :32] فالآيات التي جاءت بالتركيب الإضافي " جواب قومه " لقوم إبراهيم توضّح سبب الجمع بين قوم لوطٍ (أصحاب التركيب الإضافي) وقوم إبراهيم ، وهو عدم قبول شفاعة إبراهيم عليه السلام في استحقاقهما العذاب لأنهما على الدرجة نفسها من العناد، فقد أراد إبراهيم عليه السلام الشفاعة لقوم لوط كما تشير إليه آيات سورة العنكبوت ، وتبيّنه آيات سورة هود في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾

[سورة هود74 :76]

فجاء التركيب الإضافي " جواب قومه " لقوم إبراهيم عليه السلام ليجمع بينهم وبين قوم لوط ليبيّن السبب في ردّ شفاعة إبراهيم ، إذا أنهما سواء في المعصية والعناد واستحقاق العذاب، وكأّن السياق يعلّل لإبراهيم عليه السلام ردّ شفاعته بأنّ الذين تشفع لهم يا إبراهيم مثل قومك الذين أساءوا إليك ، فأنت أعلم بعنادهم.

- **حبل اللهِ – حبل الوريد :**

جاء لفظ "حبل" مضافاً للاسم الظاهر مرتين ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [سورة آل عمران:103].
2. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [سورة ق:16].

وكلاهما يُظهران قيمة الحبل في كونه صلة لحياة الإنسان أو حياة القلوب (الإيمان) ، بانقطاعه يحدث الموت أو الكفر .

وآية تركيب " حبل الله " تبيّن السبيل لنصر الله تعالى لعباده المؤمنين ، وذلك باتصالهم به صلةً دائمة ، فهم يحيُون حياة الإيمان ، وفي هذه الحياة يكون الله تعالى قريباً من عباده المؤمنين، و"حبل الوريد " هو حبل الحياة ، إن انقطع مات الإنسان، كمن تخلّى عن حبل الله ، فهو في موات، وتبيّن آية تركيب " حبل الوريد " قرّب الله تعالى من حبل الوريد ومن الإنسان .

وقد جاء لفظ " حبل " مقطوعاً عن الإضافة في موضوعين يكمّلان موضعي التركيب الإضافي ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾[سورة آل عمران:112] .
2. ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ [سورة المَسَد4 :5].

فتركيب " حبل من الله وحبل من الناس " جاء لكفار أهل الكتاب الذين اختلفوا ولم يعتصموا بحبل الله تعالى ، فالآية تتوعدهم بالذلّة إلا بحبل من الله أى ((عقد الذمة لهم ... أى بعهد من الله وعهد من الناس))[23] ، وبذلك يقابل تركيبُ " حبل من الله وحبل من الناس " الذى جاء في شأن ذلّة الكفار التركيبَ الإضافي " حبل الله " الذى جاء في شأن المؤمنين ونصرتهم ، والأمر بالألفة بينهم وعدم طاعة أهل الكتاب ، فهو نصر للمؤمنين يقابله ويكمّله الذلّة للكافرين.

وتركيب " حبل من مسد " جاء ليدلّ على حساب الله تعالى لمن خالف أمره ، وعقابه له، فهو يكمّل تركيب " حبل الوريد " الذى جاء بدلالة علمه سبحانه بكلّ ما يعلمه الإنسان فهو علمٌ يتبعه حساب .

فلفظ " حبل " مضافاً للاسم الظاهر جاء في موضعين يدلان على النصر والعلم ، أهمية الحبل لأنه حياة ، ودلالة قرب الله تعالى منه .يكمّلهما موضعان جاء فيهما لفظ " حبل " مقطوعاً عن الإضافة بدلالة الذّلة والحساب .

- **تحرير رقبة :**

جاء لفظ " تحرير " خمس مرات في القرآن الكريم ، جميعها في التركيب الإضافي " تحرير رقبة " ثلاث مراتٍ منها في آية واحدة

---

(23) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 2 / 62

في قوله تعالى :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [سورة النساء:92] .

والمرّة الرابعة في قوله تعالى :

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [سورة المائدة:89] .

والمرّة الخامسة في قوله تعالى :

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ﴾ [سورة المجادلة:3].

فآية سورة النساء تتحدّث عن قتل المؤمن خطأً ، وهي تنفي أن يكون ذلك من مؤمن ، فالآية هنا لا تتحدّث عن معصية ، وإنما عن خطأ غير متعمّد ، كفارته تحرير رقبة .

وآية سـورة المائدة تتحدّث عن كفارة اليمين المنعقدة ، وهي قِسـْم من أقسـام اليمين ، يقول أبو بكر الجزائري : **اليمين ثلاثة أقسام ، وهي :**

1 – **الغموس** : وهي أن يحلف المرء متعمداً الكذب ، كأن يقول : " والله لقد اشتريتُ كذا بخمسين – مثلاً – وهو لم يشترها ... وحكم يمين الغموس أنها لا تُجزئ فيها الكفارة...

2 – **لغو اليمين** : وهو ما يجرى على لسان المسلم من الحلف بدون قصد ، كمن يكثر في كلامه قول لا والله ... وحكم هذه اليمين أنها لا أثم فيها ولا كفارة.

3 – **اليمين المنعقدة** : وهي التي يقصد عقدها على أمر مستقبل ، كأنّ يقول المسلم : والله لأفعلنّ كذا... وحكمها أن من حنث فيها أثم ووجبت عليه كفارة لذلك ، فإن فعل سـقط الإثم عنه وزال))[24] فاليمين المنعقدة حنث في اليمين ، أي خطأ فيما تستجوبه اليمين من إمضـاء ، وليست اليمين في ذاتها كذباً ، وليس الحالف وقت حلفه متعمّداً الحنث ، ولا يوصـف بالكاذب ، فليس في حلفه ذنب ، وإنما في حنثه ذنب (ما لم يكن في الحنث خير) فهناك فرق بين اليمين المنعقدة واليمين الغموس ، هو أن اليمين المنعقدة لم يتعمد فيها الكذب، فلم يتعمد فيها المعصية ، فهي كالقتل الخطأ .

---

(24) أبو بكر جابر الجزائرى ، منهاج المسلم ، 498

أما آية سورة المجادلة فقد جاء فيها " تحرير رقبة " كفارة للظهار ، ويعرّف الزمخشري الظهار بقوله: ((من أيمان أهل جاهليتهم... فالمعنى أن من يقول لامرأته :

أنت عليّ كظهر أمى ، مُلْحِقٌ – في كلامه هذا – للزوج بالأم ، وجاعلها مثلها ، وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين))[25] فالظهار طلاق أهل الجاهلية ، والطلاق من شريعة الإسلام ، فليس الظهار معصية تستوجب الكفارة لكونه طلاقاً في الأصل ، وإنما وجبت الكفارةُ لأن الظهار تشبيه باطل ، فليس الظهار معصية لأنه طلاق ، ولكن لأنه طلاق خطأ استبدلت ألفاظه بألفاظ الطلاق في الإسلام .

فليس في كل من قتل المؤمن خطأً ، واليمين المنعقدة ، والظهار معصية في ذات الفعل ، فلا إثم في قتلٍ خطأً ، ولا إثم في حلفٍ لم يُتعمّد فيه الكذب ، ولا إثم في الطلاق ، وإنما ترتّبت على ذلك كفارة للخطأ الذى تسبب في فقد نفسٍ لا ذنب لها ، ولعدم الوفاء باليمين مع صدقه حين الحلف ، ولعدم التأدّب باستعمال ألفاظ الطلاق المشروعة .

(25) الزمخشري ، الكشاف ، 4 / 353

فالجامع بين هذه المواضع أن كفارة " تحرير رقبةٍ " للخطأ فيما ليس هو في أصله معصية، وجاء هذا الجزاء (تحرير رقبة) لأنه تحرير من العبودية الخطأ ؛ لأن العبودية الحقّة ملك لله وحده ، فناسب هذا الجزاء (الذي يصوّب خطأً في العبودية ، وإن لم يكن الرّقّ معصية) تلكَ الأعمال التي حدث الخطأ فيها ، وإن لم تكن في أصلها معصية.

- **حاضري المسجد – حاضرة البحر:**

جاء اسم الفاعل "حاضر" مضافاً للاسم الظاهر مرتين ، **وذلك في قوله تعالى :**

1. ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [سورة البقرة:196].

2. ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾

[سورة الأعراف:163].

فآية سورة البقرة جاءت في سياق أحكام الحج ، فلا يجوز التمتع من العمرة إلى الحج بالنسبة لأهل المسجد الحرام ، وعلّة ذلك أن التمتع تيسير لغير أهل المسجد الحرام ، ليتمكنوا من الجمع بين العمرة والحج في وقت واحد ، تيسيرًا لهم وقد أتوا من أماكن بعيدة، أما أهل المسجد الحرام ففي استطاعتهم الاعتمار في أي وقت بيسر.

وجاءت آية سورة الأعراف في سياق الحديث عن أهل السبت ، إذ لا يجوز لهم صيد السبت، ويشير السياق إلى قربهم من البحر، فلما كان البحر قريبًا منهم كان صيده يسيرًا عليهم، فجاء منعهم من الصيد في وقت محدد هو يوم السبت، وإباحته في بقية الأيام.

فالجامع المشترك بين السياقين : منع يسر إباحة الله تعالى في الأصل ، وعلّة منعه القرب من المكان ،

مما يجعل أهل المسجد الحرام أو أهل القرية القريبة من البحر قادرين على تعويض هذا المنع في وقت آخر غير وقت الحج أو يوم السبت لقربهم الشديد من المكان.(26)

- **أحكم الحاكمين:**

جاء لفظ " أحكم " مرتين في القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة هود:45] .

(26) ومنع التمتع من العمرة إلى الحج لأهل مكة هو تفسير الطبري (جامع البيان ، 437/3) وابن كثير (تفسير القرآن العظيم ، 401/1) وهو مذهب الأحناف، ، وذهب غيرهم إلى جواز التمتع لأهل مكة وأن المراد بقوله تعالى (لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي المَسْجِدِ الحَرَامِ) عدم وجوب الهدي عليهم (ابن عاشور، التحرير والتنوير، 230/2) وأيا ما كان تفسير الآية فإن فيها قرب أهل مكة من المسجد الحرام وهو شبيه بقرب أهل القرية من البحر في سهولة جلب الخير منه، فبين الموضعين دلالة مشتركة هي القرب من منبع الخير.

2. ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [سورة التين:1 : 7] .

فالموضع الأول يتحدّث عن قصة نوح عليه السلام، والموضع الثاني جاء في سورة التين ، والدلالة الجامعة هنا لا تظهر صراحةً في سياق الموضعين ، إلا أن يكون الاستثناء جامعاً بينهما ، ففي سورة هود استثناء للمؤمن من الغرق ، واستثناء لابن نوح من كونه من أهل نوح ، وفي سورة التين استثناء للمؤمنين من أن يكونوا في أسفل سافلين .

غير أنّ هناك دلالة جامعة أخرى جاءت في التفسير المأثور، ففي تفسير قوله تعالى ﴿وَالتِّينِ﴾ نقل ابن كثير أقوالاً منها قول ابن عباس رضي الله عنهما : ((أنه مسجد نوحٍ على الجدوى))[27] فإذا كان المراد بلفظ " التين " – والله أعلم – ما قاله ابن عباس ، كان ذلك جامعاً بين الموْضِعين في دلالتهما على قصة نوح ، والمراد منها الإنسان في طوره الأول قبل الكتب السماوية ، حيث بعث الله نوحاً – عليه السلام – فكان المؤمن وكان الكافر دون انتماءٍ لدين وكتاب كاليهود والنصارى ، وسياق سورة التين يتحدّث عن الإنسان عامّة ، فهو من أحسن تقويم في خلقه ثم أسفل سافلين إلا المؤمنين .

(27) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 8 / 272

كما ذكر ابن كثير – أيضاً – في تفسيره لآيات سورة هود التي تتحدّث عن قصة نوحٍ عليه السلام، ما يربط بين قصة نوح وقوله تعالى في سورة التين : ﴿وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ وقوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ ، فعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال : ((... وإن الله وجّه السفينة إلى مكة فطافت بالبيت أربعين يوماً ثم وجهها الله إلى الجودى فاستقرت ، فبعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الأرض ، فذهب فوقع على الجيف ، فأبطأ عليه ، فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ، فلطخت رجليها بالطين ، فعرف نوح عليه السلام أن الماء قد نضب فهبط إلى أسفل الجودى))[28] ومن هذا الأثر عُرفت حمامة نوح ((ويقال لها أيضاً حمامة السفينة... وهي التي أرسلها نوح عليه السلام مكان الغراب الذي لم يعد ...))[29]

فهي الحمامة التي ارتبطت بالزيتون وعودة الحياة على الأرض .

وبهذا ارتبطت سفينة نوح بالبلد الأمين ، لِما ورد من طواف السفينة التي تحمل المؤمنين بالبيت العتيق ، وهي إشارة إلى اتّباع المؤمنين نهجاً واحداً هو نهج التوحيد ، وهو الذى أنجاهم من الغرق والهلاك الذى حلّ بالمشركين ، ولذلك جاء وصف الله تعالى لمكة في سورة التين بأنها البلد الأمين ، فمكة هي الآمنة من الغرق والهلاك لأن الله حفظها ، ويحفظها بالتوحيد .

(28) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، 4 / 190
(29) الثعالبى ، ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، 464 .

وإشارة سورة التين إلى قصة نوحٍ عليه السلام (وهي قصة إعادة الحياة والخلق الجديد بعد إهلاك الظالمين وإبقاء المؤمنين) تناسب حديث السورة عن سنة الله في خلق الإنسان ، ليكون منه المؤمن والكافر.

ويدلّ على أنّ السورة تعمد إلى الربط بين سنة خلق الإنسان منذ القدم وبين مراحل (أطوار) هداية الله له ، وإنقاذ المؤمنين من الهلاك (الغرق) ، أنّ السورة بعد إشارتها إلى قصة نوح ، تُذكّر أول موضع شهد الكتاب المنزل لهداية البشر.

ففي مفتتح سورة التين وبعد إشارة " **التِّينِ** " و" **وَالزَّيْتُونِ** " إلى قصة نوح ، يأتى قوله تعالى﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وطور سنين هو : ((طور سيناء الذى كلّم الله عليه موسى))[30] وهو أمر يرتبط بإعادة الحياة والخلق الجديد ، أى يرتبط بقصة نوحٍ عليه السلام ؛ وذلك لأن لفظ "طور" يدل على المدّة ، فالطَّوْر لغة : ((التارة ، تقول : طورا بعد طور أى : تارة بعد تارة))[31] وارتبط هذا المعنى بالخلق في القرآن الكريم ، يقول تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [سورة نوح:14].

فالقرآن الكريم يربط بين لفظ " أطوار " وبين الخلق في سورة نوح ، ولم يرد لفظ "أطوار" إلا مرّة واحدة في القرآن الكريم ، ليكون ذلك دليلاً آخراً على وجود علاقة بين لفظ "طور" في سورة التين وقصة نوح في سورة هود، هذه العلاقة هي علاقة مراحل (أطوار) الخلق.

---

(30) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 8 / 272

(31) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (طور)

وجبل الطور يدل على مرحلة تاريخية من تاريخ هداية الله للبشر، إذ يرتبط الجبل بالوحي، ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الحشر:21] . وقد نزل الوحى على رسول الله محمد ﷺ في غار "حراء" في جبل، فإذا كان الجبل يرتبط بالوحى، فإن أقدم الجبال في تلقى أمانة التكاليف للبشر هو جبل الطور، ولعل التقارب بين اسمه " ط و ر " واسم " التوراة " " ت و ر " يدل على صلتهما، بل أن العجيب أن الجبل لم يبتعد عن قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في صورة شبيهة بصورة الجبل المقترن بالوحي، فالجبل في قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ موئل العصمة، لكنها لا تُمنح إلا بأمر الله تعالى، يقول تعالى : ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ ﴾ [سورة هود:43] فالجبل كالوحي يسمعه الجميع، لكنه لا ينفع إلا من اهتدى وآمن بالله، وكذلك جاء الجبل في قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ موطن استقرار سفينة التوحيد، فكان الجودي أول من يتلقف المؤمنين ويحتضنهم وفيهم الوحي متمثلًا في نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد تلاطم الأمواج، فالجبل في قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ عصمة وحنو لأمر الله تعالى، كالجبل المستجيب لخشية الله تعالى، وذكره في سورة التين (الطور)

وليحدث هذا التقارب بين الجبل في قصة نوح والطور في سورة التين ، جاء هذا الوصف الغريب للطور بأنه (طور سنين) فالجبل هو الجبل في الثبات والخشوع لأمر الله تعالى واستقبال الوحي وإن دارت السنين من نوح إلى موسى ثم إلى البلد الأمين .

فإذا كان " طور سنين " هو اسم جبل " طور سيناء " فلماذا جاء الجبل في سورة التين بالاسم الدال على الزمن " سنين " ؟ وإجابة هذا التساؤل تكمن في الربط بين جبل الطور وحديث سياق سورة التين عن سنة الخلق الثابتة على مرّ السنين ، فالسورة تتحدّث عن مراحل من تاريخ الخلق في الزمن الماضي أي في السنين الماضية، وإذا كانت هذه هي سنة الله في الخلق، فإن مثالها قصة نوحٍ مع قومه ، وهي المرحلة التي أشار إليها قوله تعالى ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [سورة التين: 1]، ثم مثالها مرحلة هداية الله لبنى إسرائيل الذين أنجاهم الله من الغرق هم ومن آمن مع موسى عليه السلام، وأغرق فرعون وجنده (كما أغرق قوم نوح) فذكَرت سورة التين سنة الخلق مع الوحي وأدت ذلك بإضافة جبل التجلي للسنين ((وَطُورِ سِينِينَ))، ثم المرحلة المتأخرة زمناً ، وهي ختام الوحى الذى نزل في البلد الأمين "مكة " ، إذ لا غرق ولا إهلاك ، فهي بلد آمنة بالتوحيد، وأمينة على التوحيد، ثم يربط السياق المحكم بين هذه السنة (سنة الخلق والوحي) وقصة نوح (القصة الأولى لإعادة الخلق والفصل بين المؤمن والكافر) عن طريق التركيب الإضافي " أحكم الحاكمين

" ، والذى يدل بألفاظه على أنّ حكم الله سابق في كل الأزمنة والسنين.

فتركيب ((أَحْكَمِ الحَاكِمِينَ)) يأتي مع تحقيق سـنة الخلق ورحلة الوحي عبر السنين، بذكر قصة نوح أو الإشارة إليها.

- **إخراج أهله – إخراج الرسول :**

جاء لفظ " إخراج " مضافاً للاسم الظاهر مرتين ، وذلك **في قوله تعالى :**

1. ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [سورة البقرة:217].
2. ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴾ [سورة التوبة:13] .

ويشترك التركيبان في دلالة الآيتين على إخراج أهل المسجد الحرام ، فالرسول ﷺ من أهله الذين اضطرهم كفار مكة إلى الخروج منها ، ويفيد هذا الاشتراك بين التركيبين وصف الرسول ﷺ بأنه من أهل المسجد الحرام .

وقد أضــاف لفظ " إخراج " إلى لفظ " أهله " في ســياق الردّ على الكفار الذين عيّروا المسلمين بقتالهم عمرو بن الحضرمي في أول ليلةٍ من رجب – وهو من الأشهر الحرم – وكانوا يظنون أنها آخر ليلةٍ من جمادى(32) ، فهو يردّ على الكفار بما فعلوه في السابق ، وهو يخالف ما يأمرون الناس به ، فجاء لفظ " أهله " لأنّ الواجب أن لا يُخرج كفار مكة أهل المســجد الحرام ســواء آمنوا بأن من يخرجونه رســول أو لم يؤمنوا ، وجاء لفظ " إخراج " مضــافاً إلى لفظ "الرســول" في خطاب المؤمنين ليحضـّهم على قتال أئمة الكفر ، فجاء بلفظ " الرســول " ليثير حفيظة المؤمنين بما لحق رسول الله ﷺ من أذًى ، ففي كلا التركيبين إخراج لأهل المسجد الحرام.

- **اختلاف الليل والنهار – اختلاف ألسنتكم :**

جاء لفظ " اختلاف " مضــافاً إلى الاســم الظاهر ســت مرّات ، خمس مرات منها في تركيب " اختلاف الليل والنهار " والمرة الســادســة في تركيب " اختلاف ألسنتكم وألوانكم " ، **يقول تعالى :**

(32) انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 1 / 297

1. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة:164].
2. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [سورة آل عمران:190].
3. ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ [سورة يونس5 :6].
4. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة المؤمنون79 :80]
5. ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الجاثية3 :5]

6. ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [سورة الروم 22 :23].

هناك فرق بين (اختلاف الليل والنهار) عن (اختلاف الألسنة والألوان) في أن اختلاف الليل والنهار يحمل معنى اختلاف سمة كل منهما أو اختلافهما طولاً أو قصرًا ، كما يحمل معنى تعاقبهما، فالنهار خلفة للّيل، أما اختلاف الألسنة والألوان فإن معناها ينصرف إلى تنوُّع اللغات واللهجات وتنوّع ألوان البشر، ومع ذلك توجد دلالات تجمع بين تركيب "اختلاف الليل والنهار" وتركيب "اختلاف ألسنتكم وألوانكم"

وهي :

1. ما يدلّ عليه التركيبان من اللون الأبيض واللون الأسود وما بينهما .
2. اختلاف الليل والنهار طولاً وقِصـرًا وتعاقبهما ناتج عن المكان ، كذلك اختلاف لغات الناس ولهجاتهم ، فلكل مكانٍ لغته ، وتتأثر اللغة بالمكان الذى يباعد بين الناس .

3. جاء تركيب (اختلاف ألسنتكم وألوانكم) مرة واحدة في القرآن الكريم وهي في سورة الروم، ومن المعروف أن الروم وقتها دولة تختلف عن العرب (الذين نزل القرآن بلغتهم) لسانًا وكذلك لونًا، وهنا نلحظ – أولا - بلاغة القرآن الكريم بإحكام المناسبة بين تركيب (اختلاف ألسنتكم وألوانكم) والسورة الوارد فيها دون غيرها من السور لأن السورة تتحدث عن دولة مجاورة للعرب تختلف عنهم لغة ولونًا، أما الملاحظة الثانية وهي مبنية على الأولى، أن مطلع سورة الروم في حديثه عن الروم ربط بين تركيب (اختلاف ألسنتكم وألوانكم) وتركيب (اختلاف الليل والنهار) عن طريق المشابهة؛ لأن اختلاف الليل والنهار يفيد تعاقبهما فالنهار يأتي خلفة للّيل، وكذلك تحدثت سورة الروم عن الروم، **يقول تعالى:**

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [سورة الروم:6]

فنصر الروم على الفرس يأتي عقب هزيمة الروم، وعند نصر الروم يفرح المؤمنون؛ لأن الروم أهل كتاب

والفرس مجوس قد تمنى المشـركون انتصـارهم، إذا فالنصـر (والفرح) خلفة للهزيمة، وفي ذلك إشارة لتحقق وعد الله تعالى للمسلمين بالنصر على المشركين والفرح فيما بعد، وفي ذلك شـبه بتعاقب الليل والنهار، كما تتعاقب الدول، فتركيب (اختلاف ألسنتكم وألوانكم) محكم الصلة بمطلع السورة الوارد فيها الذي يتحدّث عن الروم، ومطلع السورة بحديثه عن الروم شبيه في تعاقب النصر بتعاقب الليل الذي يفيده تركيب (اختلاف الليل والنهار) الذي يشـترك مع (اختلاف ألسـنتكم وألوانكم) في اللفظ المضـاف، وهكذا يتحقق معنى التعاقب الذي يختص بتركيب (اختلاف الليل والنهار) في تركيب (اختلاف ألسـنتكم وألوانكم) لأن السـورة التي انفردت به جاءت بمعنى التعاقب ، بل وتحقّق التعاقب فيما بعد ليس فقط بنصر الروم على الفرس، بل بنصر المؤمنين وفرحهم وتعاقبهم محل الروم أنفسهم،

فأصبحت دولة الروم دولة المسلين وحلّ اللسان العربي محل لسانهم.

4. اختلاف الليل والنهار واختلاف ألسـنة الناس وألوانهم دليل على قدرة الخالق على الحياة والموت ، لذلك جاء تركيب " اختلاف ألسنتكم وألوانكم " في سياق يتحدّث عن البعث بعد الموت ، وجمع الناس بعد الانتشـار في الأرض ، **يقول تعالى**: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [سورة الروم 19 :20]

5. فإذا كان اختلاف الليل والنهار يدل بطبيعته على الحياة والموت لأنه ميلاد يوم وانتهاء ليلة، وصـرحت الآيات بذلك في مثل قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾[سورة المؤمنون:80] فإن القرآن الكريم قبل حديثه في سورة الروم عن اختلاف ألسنة البشر وألوانهم يذكر الحياة والموت، لأن في اختلاف الألسنة والألوان حياة وموت كذلك ، فهذا الاختلاف يحدث في نسل البشر، فالكل من أبٍ واحدٍ تولّدت منه ملايين البشر المختلفة في اللغات والألوان ، واللغات تحيا وتموت، والفكرة من الإنسان تحيا بنطقها أو تموت بكتمانها، وألوان البشر تحيا بهم وتموت معهم، فالقرآن الكريم يذكر الحياة والموت مع اختلاف الليل والنهار ومع اختلاف الألسنة والألوان لأن في كليهما اختلافًا قائمًا على الحياة والموت.

6. في سياق تركيب (اختلاف ألسنتكم وألوانكم) جاء الحديث عن الليل والنهار بأسلوب يشير إلى اختلاف طباع البشر فيهما (وليس اختلافهما) يقول تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٢٣ ﴾[سورة الروم:23]

فالآية لم تقطع باختصاص الليل بالنوم فيه ، واختصاص النهار بالسعي فيه ابتغاءً لرزق الله تعالى، على الرغم من صحة ذلك في الأعم وتصريح القرآن الكريم به في مواضع أخرى كقوله تعالى ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا ﴾ [سورة الأنعام:96] ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [سورة النبأ9 :11]

إلا أن القرآن الكريم في هذا الموضع الذي يأتي فيه تركيب (اختلاف ألسنتكم وألوانكم) لا يقطع باختصاص الليل بالنوم والنهار بالسعي وإنما يشير إلى ذلك بتقديم النوم ثم تقديم الليل على النهار مع تأخير ابتغاء الناس من فضل ربهم، في أسلوب مجمل ملتف؛ وكأنّ في ذلك دلالة على اختلاف طباع الناس وأعمالهم التي تقتضي مخالفة السنة الأعم بجعل الليل سكنًا للنوم، فمن الناس من يكون ليله عملٌ ونهاره نوم، فمن بلاغة النص القرآني أنه جاء بالأسلوب الدال على اختلاف طباع الناس فيما يخص الليل والنهار مع حديثه عن اختلاف الألسنة والألوان.

7. إذا لاحظنا ترتيب مكوّنات كل تركيب سنجد تشبيهًا دقيقًا، ففي التركيب الأول (اختلاف الليل والنهار) يأتي الليل قبل النهار، وفي التركيب الثاني (اختلاف ألسنتكم وألوانكم) تأتي الألسنة قبل الألوان، ففي الترتيب يأتي الليل في رتبة الألسنة وبينهما شبه

ومناسبة، فالليل ستر بظلمته، واللسان مستور في الفم، كما أنه ستر صاحبِه فالعرب كانت تقول: المرء مخبوء تحت لسانه، واللسان أداة الكلام الذي يدرك بالسمع وهو ما يناسب الليل؛ لأن الليل المظلم بخلقته تستعمل فيه حاسة السمع أكثر من البصر، أما ترتيب النهار فيأتي متأخرًا في رتبة الألوان، وبينهما شبه؛ فاللون علامة ظاهرة كالنهار المبصر لظهور الأشياء فيه، والإنسان في النهار يبصرها بعينه كما يبصر الألوان، فكلاهما يعتمد على البصر، بل أدق من ذلك مناسبة أن اللون محلَّه الجلد، والجلد يُدرِك النهارَ لشعوره بحرارة الضوء الذي يتخلل الجلّد، ويغيّر في درجة لونه، فالجلد محلُّ اللون ومحلُّ ضوء النهار، ويؤثر ضوء النهار في اللون، فترتيب اختلاف الليل والنهار يناسب ترتيب اختلاف ألسنتكم وألوانكم، ليؤكد وجود علاقة بين تركيبين يشتركان في لفظ المضاف.

لعل هذا الترابط بين تركيب (اختلاف الليل والنهار) وتركيب (اختلاف ألسنتكم وألوانكم) ربط بين الكون والإنسان، للنظر والتأمل، كما جاء في سورة الروم ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ ﴾ [سورة الروم:8] ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الروم:28] فكما أن قدرة الخالق سبحانه على التنوّع والتعاقب والإحياء والموت ظاهرة في سنن الكون

العظمى كالليل والنهار؛ موجودة في أنفسنا بتنوعها وتعاقبها وحياتها وموتها، لأن الخالق واحد، فلا تحدُّ قدرته في خلق دون خلق.

ومن المبهر أن لفظ "اختلاف" الذي جاء مضـافًا للدلالة على التنوّع والتعاقب والإحياء والموت؛ مرّة واحدة مقطوعاً عن الإضـافة ، بدلالة عكسـية، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[سورة النساء:82] فلا اختلاف في القرآن الكريم لأنه من الله تعالى فلا تقع فيه قدرة تنوع الخلق بالتضاد والتعاقب والحياة والموت ، وإنما يقع فيه إحكام وحدانية القول دون تعارض لوحدانية القائل.

- **دأب آل فرعون – دأب قوم نوح :**

جاء لفظ " دأب " مضافاً إلى الاسم الظاهر أربع مرّات ، ثلاثٌ منها أضيف إلى " آل فرعون " ومرّة أضيف إلى " قوم نوح " ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾[سورة آل عمران:11].

2. ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [سورة الأنفال:52] .
3. ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾[سورة الأنفال:54] .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾ ﴿٢٦﴾أَوْ

[سورة غافر30 :31].

والملاحظ في آية سورة غافر (الموضع الرابع) أن لفظ " دأب " يخص قوم نوح دون غيرهم من الأقوام السابقين المذكورين في الآية نفسها ، مع أن المعنى يصلح من غير ذكر لفظ " دأب " بأن تكون الصياغة : " مثل قوم نوحٍ وعاد " وهو كقوله تعالى ﴿مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ ﴾ [سورة هود:89] وهو ما يدلّ على قصد ذكر لفظ "دأب " مضافًا.

وقد جاء تركيب " دأب آل فرعون " في المواضـع الثلاثة الأولى مع وقوع العذاب لآل فرعون ، وهو عذاب الله لهم بالغرق، أما تركيب " دأب قوم نوح " (في الموضـــع الرابع) فقد جاء على لســـان مؤمن آل فرعون ، يتوعّد قومه بالعذاب ، وقد تحقق وعيده لآل فرعون بأن أصابهم مثل نوع العذاب الذي أصاب قوم نوح، فمجيء لفظ "دأب" مضافًا مع قوم نوح خاصة إشارة إلى مساواة العذاب بالغرق بين قوم نوح وآل فرعون، ولم يأتِ مضافًا إلا لآل فرعون أو على لسان مؤمن آل فرعون.

- **دعاء الكافرين - دعاء ربى - دعاء الرســول - دعاء بعضــكم - دعاء الخير:**

جاء لفظ " دعاء " مضافا للاسم الظاهر ست مرات ، وذلك في المواضع الآتية:

1. ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [سورة الرعد:14].
2. ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾

[سورة مريم47 :48] .

3. ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [سورة النور:63].

4. ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة غافر:50].

5. ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة فُصِّلَت: 49 :50]

ففي آية سورة الرعد جاء التركيب الإضافي في سياق إبطال آثر دعاء الكافرين في الدنيا لأنه دعاء لغير الله ، وفي آية سورة غافر إبطال لأثر دعاء الكافرين في الآخرة إذ جاءتهم الرسل في الدنيا .

وفي آية سورة فصلت فصلت إبطال رغبة (دعاء) الإنسان في أن تكون حياته كلها خير يرغبه، كما أن هذا الدعاء جاء من يئوس قنوط يشك في قيام الساعة ، فدعاؤه مردود .

أما آية سورة النور فقد جاء في سبب نزولها ما قاله بن كثير: ((عن ابن عباس: كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاما لنبيه ﷺ . قال : فقولوا : يا نبى الله يا رسول الله))[33] فالتركيب الإضافي في سياق النهي عن دعاء الرسول باسمه أو كنيته فهو إبطالٌ لهذا الدعاء .

أمّا التركيب الإضافي " دعاء ربى " في سورة مريم فقد جاء على لسان سيدنا إبراهيم – عليه السلام – ويبيّن السياق الدلالة الجامعة بين هذا الموضع وغيره ؛ إذ جاء فيه استغفار إبراهيم – عليه السلام – لأبيه (وهو من دعاء إبراهيم) وهو ما لا ينفع المشرك ، فهو دعاء لا أثر له ، ومنهيّ عنه لقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [سورة التوبة:114].

فالمواضع كلها التي جاء فيها لفظ " دعاء " مضافا للاسم الظاهر تلازمه دلالة إبطال الدعاء ، وهي دلالة لم تلازم لفظ " دعاء " في غير إضافته للاسم الظاهر.

(33) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 5 / 348 .

- **دعوة الداع – دعوة الحق :**

جاء لفظ " دعوة " مضافا للاسم الظاهر مرتين :

1. قوله تعالى﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [سورة البقرة:186] .
2. قوله تعالى ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤)﴾

[سورة الرعد:14] والتركيب الأول (دعوة الداع) جاء مع دلالة قرب الله تعالى من عبده إذا دعاه مخلصا له مؤمنـــًا به، مع وعده بالإجابة، وجاء التركيب الثاني (دعوة الحق) مع الصورة المقابلة للأولى، فلفظ (دعوة) يجمع بين الصورة ونقيضها، فلقد جاء مع صورة المشرك الذي يتوجه بدعائه لغير الله تعالى طلبًا للاستجابة ، ويظن الداعي عندها أن من يدعوه أقرب إليه ، فتفسير صورة (كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ) تشبِّه الكافر بمن يشير إلى الماء بيده ليبلغ الماء إلى فيه دون أن يرفع الماء، ويحتمل معنى الصورة أنه يقبض على الماء بيده المبسوطة فينساب الماء من بين أصابعه دون أن يشربه، وفي كلا التفسيرين الماء قريب منه لكنه يخطئ في الوسيلة لتحيق الغاية من الماء، فكذلك المشرك فالله تعالى قريب منه بالإجابة لكنه يخطئ في الوسيلة لتحقيق الإجابة.

فلفظ (دعوة) مضافًا في القرآن الكريم يربط بين دعوة المؤمن ودعوة المشرك في وصف قرب الله تعالى وإجابته لمن دعاه مؤمنًا مخلصًا، على النقيض ممن يُعبد من دونه فهو لا يملك الإجابة وإن بدا قريبًا ممن يدعوه.

- **دفع الله :**

لم يرد لفظ " دفع " في القرآن الكريم إلا مرتين وذلك في التركيب الإضـــافي ، في قوله تعالى:

1. ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ [سورة البقرة:251].
2. ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم ﴾ [سورة الحج:40].

في آية سورة البقرة غلبت الفئة القليلة المؤمنة الفئة الكثيرة، وذكر ابن كثير في تفسيره لآية سورة الحجّ : ((عن ابن عباس : أُخرِجوا من مكة إلى المدينة بغير حق يعنى محمدا وأصحابه)) [34] فهي للمهاجرين ، إذنٌ لهم في القتال ووعدٌ بنصرهم، فالموضعان يشتركان في نصرة الله للفئة المؤمنة على قلتها ، مع أن الآية الأولى للمؤمنين مع داود عليه السلام ، والثانية للمهاجرين مع محمد صلى الله عليه وسلم.

والملاحظ أنّ المؤمنين مع داود عليه السلام جاوزوا النهر﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ [سورة البقرة:249] وكان دعاء المؤمنين في هذا المقام : ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة:250] ودعاء (ربنا أفرغ علينا صبرا) قاله السحرة الذين آمنوا مع موسى عليه السلام وجاوزوا معه النهر فأنجى الله المؤمنين من فرعون لكن بلا قتال ، وفي دعاء السحرة الذين آمنوا يرد لفظ "المسلمين".

(34) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 5 / 251 .

﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [سورة الأعراف:126].

ودعاء " تبّث أقدامنا " الذى قاله المؤمنون مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما شعر بعضهم بالوهن﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [سورة البقرة:249] هو الدعاء الذى أخبره الله تعالى للمسلمين المهاجرين عندما أصابهم الوهن لما حدث في يوم أحد﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ [سورة آل عمران:147] .

فلم يرد دعاء " ربنا أفرغ علينا صبرا " إلا مرتين في القرآن الكريم ، مرّة للسحرة المؤمنين مع موسى الذين جاوزوا النهر ، ومرّة للمؤمنين مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وكانت آية مُلك مَلكهم طالوت بقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، وجاوزا النهر معه ، وجاء مع دعاء السحرة المؤمنين دعاء " توفنا مسلمين " وهو ما لم يرد بهذه الصيغة إلا في هذا الموضع في القرآن الكريم .

ولم يرد " ثبت أقدامنا " إلا مرتين في القرآن الكريم ، مرة للمؤمنين مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ومرة للمؤمنين مع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فإذا كان القرآن الكريم يربط بين المؤمنين مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمنين مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ويربط بين المؤمنين مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمنين مع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتركيب الإضافي " دفع الله " فإنه يؤكد ذلك بما يلى :

1. تكرار دعاء " أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا " مجزّءا فيتكرر نصفه مع المؤمنين مع موسى ونصفه مع المهاجرين مع محمد ﷺ .
2. الربط بين المؤمنين مع موسى وبين المهاجرين مع محمد ﷺ عن طريق بقية الدعاء " توفنا مسلمين " فالأَوْلى بهذا الدعاء من هم مع محمد ﷺ لكنه جاء مع المؤمنين مع موسى عليه السلام دون غيرهم في القرآن الكريم .

والهدف من هذا الربط القرآني التأكيد على نصرة الله تعالى للفئة المؤمنة القليلة التي أخرجت من ديارها (تجاوزت النهر أو الهجرة) وكان ذلك النصر بالقتال في شأن المؤمنين مع داود عليه السلام والمؤمنين مع محمد ﷺ فجمع بينهما تركيب "دفع الله" .

ذريّة قوم – ذرية آدم – ذرية إبراهيم – ذرية مَن: جاء لفظ " ذرية " مضافاً للاسم الظاهر أربع مرات ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [سورة الأنعام:133] .
2. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [سورة مريم:58] .

3. ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [سورة الإسراء2 :3].

فقد جاء تركيب " ذرية قوم آخرين " مع الحديث عن استخلاف قومٍ لقوم مبعدين أذهبهم الله تعالى أي أنهاهم ، فالاستخلاف هنا كالخلق (الإنشاء) من جديد ، وليس تواصلاً بين الآباء والأبناء ، وتوضّح الآية أن المخاطبين نشأوا من ذريّة قومٍ آخرين ليسوا بآبائهم ، فهي بنوة ليست مباشرة .

وإذا كان القرآن الكريم يأتى بتركيب " بنى آدم " في مواضع أخرى ، فإنّه في آية سورة مريم جاء بتركيب " ذريّة آدم " وتركيب " ذريّة إبراهيم " لأن سياق سورة مريم يتحدّث عن خلق الله تعالى لعيسى عليه السلام بلا أبّ ، فلا توجد أبوة مباشرة، وإنما عيسى عليه السلام من ذريّة أبى البشر (آدم) وأبى الأنبياء (إبراهيم) عليهما السلام.

ويدلّ تركيب " ذرية من حملنا مع نوح " على الخلق الجديد السابقين ، وينسب كلّ مَن جاء بعد نوح عليه السلام إليه ، على الرغم من أنّ القرآن الكريم يبيّن أنّ الله تعالى أنجى مع نوحٍ مَن آمن بدعوته﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ [سورة الأعراف:64] فنُسبتْ الحياة بعد الطوفان إلى نوح عليه السلام وكأنّه أول من خُلق على هذه الأرض .

فالدلالة التي لازمت لفظ " ذريّة " مضافاً للاسم الظاهر هي دلالة إنشاء الخلق من جديد، فالقرآن الكريم يجمع بين إنشاء أقوام جديدة بعد هلاك من سبقهم وخلق عيسى عليه السلام بلا أب كإنشاء جديد للإنسان عن طريق استعمال هذا التركيب.

- **رؤوس أموالكم – رؤوس الشياطين :**

جاء لفظ " رؤوس " مضافاً إلى الاسم الظاهر مرتين ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة278 :279].
2. ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾ [سورة الصافات64 :66] .

فآية سورة البقرة تنهى عن أخذ الربا ، وهو ما وصفه القرآن الكريم بالأكل ، يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران:130] وآية سورة الصافات تشبه ما يؤكل من طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين .

فالربا ناتج من أصول الأموال ، ورؤوس الشياطين ناتج من شجرة الزقوم ، فكلاهما يتفرعان من الأصل ، وكلاهما إساءة من الزيادة ، فالربا زيادة غير مشروعة على رأس المال ، لذلك هي زيادة ممحوقة ، لا تغني آكلها ، بل تسيء إليه ، وطلع شجرة الزقوم زيادة على أصل الشجرة التي تنبت في أصل الجحيم ، فهو طلع زيادة في العذاب ، لا يغني آكله بل يسيء إليه، فالدلالة الجامعة بين تركيب " رؤوس أموالكم " وتركيب " رؤوس الشياطين " دلالة الأكل ، ودلالة الإساءة من الزيادة .

- **أرحم الراحمين :**

جاء لفظ "أرحم" أربع مرات في القرآن الكريم، وفي جميعها أضيف إلى لفظ "الراحمين" ، وهي في قوله تعالى :

1. ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف:151].
2. ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [سورة يوسف:64].
3. ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [سورة يوسف:92]
4. ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء83 :84].

فتركيب " أرحم الراحمين " في سورة الأعراف جاء بعدما ترك موسى هارونَ عليهما السلام مع بني إسرائيل ، ثم رجع إليه غضبان أسفاً ، معاتباً أخاه ، فقد جاء التركيب مع فراق الأخ لأخيه ثم عودته إليه .

وجاء التركيب في سورة يوسف الآية (64) عندما فارق يعقوب عليه السلام أبناءه الذين أعادهم الله تعالى إليه .

وجاء التركيب في سورة يوسف – أيضاً – في الآية (92) عندما فارق يوسف عليه السلام أخوته ، ثم أعادهم الله تعالى إليه .

وجاء التركيب في سورة الأنبياء عندما فقد أيوب عليه السلام أولاده ، ثم عوّضه الله تعالى بمثليهم .

ففي هذه المواضع الأربعة يتوسّل فيها الدّاعي (وهو نبيّ) بألفاظٍ تستجمع الرحمة الربّانية ، وتدلّ على تفرّد الله تعالى بالقدرة على إغاثة الإنسان والرحمة به، وهو نداء لله تعالى بالرحمة ليلبى حاجة الرحمة في قلب الأب وقلب الأخ ، لذلك نادوه " بأرحم " ، والداعون هم الراحمون ، ففي قلوبهم الرحمة التي تتوق لذويهم، فالدلالة التي لازمت تركيب "أرحم الراحمين" هي دلالة عودة الأخ لأخيه أو الابن لأبيه بعد افتراق، وجميعها للأنبياء.

- **رضوان الله :**

جاء لفظ "رضوان" مضافًا إلى الاسم الظاهر ثلاث مرات ، وذلك في تركيب "رضوان الله" ، مرتين منها في سياق الجهاد ، ومرة مع الحديث عن الرهبانية ، **يقول تعالى :**

1. ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [سورة آل عمران161 :162]

قَاتِلُوا ۖ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[سورة آل عمران173 :174].

3. ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [سورة الحديد:27]

والموضع الأول والثاني لتركيب "رضوان الله" جاء في آيات سورة آل عمران ، وسياق هذه الآيات نزل بالحديث عن موقعة أحد ، وهي الموقعة التي خالف فيها الرماة أمر الرسول ﷺ ، فبعدما كان النصر وشيكًا للمسلمين أوقع المشركون القتل والتنكيل في المسلمين ، يقول ابن كثير عن قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ﴾ [سورة آل عمران:152] :

((وإنما عني بهذا الرماة ، وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع وقال: "أحموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا نقاتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا" فلما غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين ؛ أكبّ الرماة جميعًا ، دخلوا في العسكر ينهبون... فلما أخلّ الرماة تلك الخلّة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله ﷺ فضرب بعضهم بعضًا والتبسوا وقُتل من المسلمين ناس كثير))(35).

فهذا السياق يتحدّث عن الدرس المستفاد من موقعة أحد ، وهو: سلامة القصد في الجهاد ، وضرورة الإخلاص لله تعالى ، فلا يكون الغرض من العبادة زينة الحياة الدنيا ، ولا يطلب من الجهاد الغنائم ، فالنصر لا يكون إلا لمن زهد في الدنيا وما فيها وأقبل على الله تعالى يريد الآخرة.

أما الموضع الثالث لتركيب "رضوان الله" فقد جاء في سورة الحديد ، والحديد أداة الجهاد، ووسيلة لنصر الله تعالى ، كما يقول تعالى في سورة الحديد قبل ذكر تركيب "رضوان الله": ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحديد:25]

(35) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 2/79-80.

وتركيب "رضــوان اللّه" في ســورة الحديد يتحدّث عن الرهبانية ، وقد ذكر ابن كثير عند حديثه عن الربانية ما رواه الإمام أحمد في مســنده: ((عن أنس ابن مالك - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ ، أنه قال: "لكلّ نبي رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل اللّه"))[36] فالرهبانية في أصلها زهد عن الدنيا بكل شواغلها ، وانقطاع للآخرة وتفرّغ للعبادة، ومن ذلك يظهر الشــبه بين الجهاد (حديث ســياق تركيب "رضــوان اللّه" في ســورة آل عمران) والرهبانية (حديث ســياق تركيب "رضوان اللّه" في سورة الحديد) خاصة في موقعة أحد التي يستفاد منها الإخلاص للّه تعالى ، والزهد في الغنائم وعرض الدنيا طاعة للّه ولرسوله ﷺ.

وعليه فإن تركيب "رضوان اللّه" الذى يتحدّث عن الجهاد يرتبط بتركيب "رضوان اللّه" الذى يتحدّث عن الرهبانية ، وذلك لما جاء في سورة الحديد من وصف للحديد ، وما جاء في التفسير من ربط بين الجهاد والرهبانية ، ووجود الشبه بين الجهاد (المطلوب لإحداث النصر) والرهبانية في الانقطاع عن الدنيا.

- **مرضاة الله - مرضاة أزواجك:**

جاء لفظ "مرضاة" مضافًا إلى الاسم الظاهر أربع مرات، ثلاثُ منها مضافًا إلى اسم الجلالة "اللّه" وهي:

---

[36] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 20/8.

1. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [سورة البقرة:207].
2. ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ ﴾ [سورة البقرة:265]
3. ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء:114].

وهذه المواضع الثلاثة تحث على إنفاق المال في سبيل الله (يشري) (ينفقون) (صدقة).

أمّا المرّة الرابعة فهي بإضافة "مراضاة" إلى "أزواجك" في قوله تعالى :

4. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [سورة التحريم : 2:1]

وقد ذكر ابن كثير فيما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه : ((أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّم جاريته فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ إلى قوله ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ فكفّر بمينه ، فصيّر الحرام يمينـًا))([37]).

فالجامعُ بين هذه المواضع الأربعة: الحثّ على الإنفاق ليشتري الإنسان نفسه ابتغاء مرضاة الله ، وليكون تركيب "مرضاة أزواجك" تعريضًا بالعدول عن الأصل في العبادة وهو : ابتغاء مرضاة الله ، فتُفرض تحلّة اليمين (الإنفاق) ليعود ابتغاء المرضاة إلى "الله" ، ففي الجمع بين التركيبين زجر عن ابتغاء مرضاة غير الله تعالى.

- **رُوح القدسِ:**

جاء لفظ "رُوح" مضافًا للاسم الظاهر أربع مرات في القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾[سورة البقرة:87].
2. ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾[سورة البقرة:253]
3. ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [سورة المائدة:110]

([37]) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 102/8.

4. ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ [سورة النحل102 :103]

هذه هي المواضـع الأربعة التي جاء فيها التركيب الإضـافي ، ثلاث منها مع إنزال الكتاب-الإنجيل- لعيسى عليه السلام، والرابعة مع إنزال القرآن الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، والجامع بينهما أن "روح القدس" عندما جاءت مع القرآن الكريم جاءت في سياق نفي أخذه من الإنجيل ، فقد جاء في التفسير عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ﴾ [سورة النحل :103] : ((قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرًا ما يجلس عند المروة إلى سبيعة غلام نصراني يقال له : جبر.))[38]. فالكفار ادّعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ القرآن من هذا الغلام الأعجمى الذى له عِلْم بالإنجيل.

فتضمُّن القرآن الكريم أخبار الأمم السابقة وأصول التشريع السماوي لا يعنى أخذه من الإنجيل ، وإنما الإنجيل والقرآن من مصدر واحد وهو الله -سبحانه وتعالى- ونزل به روح القدس.

[38] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 344/4.

فإذا كان مصدر الشُبهة لدى المشركين وجود شبهٍ بين القرآن والكتب السماوية فادّعوا أن القرآن مأخوذ منها ؛ جاء التركيب الإضافي ليدحض هذه الشبهة عن طريق الجمع بين الإنجيل والقرآن بتركيب "روح القدس" الذي لازم ذكر الإنجيل ، ليكون دالاً على أن مصدر الوحي واحد فلا غرابة من الشبه بين القرآن والإنجيل.

- **زينة الله - زينة الحياة الدنيا - زينة القوم :**

أضيف لفظ "زينة" للاسم الظاهرة في القرآن الكريم أربع مرات، وذلك في قوله تعالى:

1. ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف:32].
2. ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ [سورة الكهف:28]
3. ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [سورة الكهف:46]
4. ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴾ [سورة طه:87]

من قراءة الآيات نجد أن آية سورة الأعراف: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾تنهى عن تحويل "زينة الله" من الحلال إلى الحرام ، وتبيّن أن زينة الله في الأرض أصلها الحلّ ، وتبين الآية التي بعدها أن الحرام هو الفواحش والإثم والبغي والشرك ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ [سورة الأعراف:33]

وآية سـورة الكهف تنهى الرسـول ﷺ أن يتطلع إلى زينة الحياة الدنيا، والأصل فيها الحلّ لكنّ الحرام منها أن يكترث القلب بهذه الزينة ، خاصة وأن غاية الرسول ﷺ الصبر على الدعوة ، ويُبين أن الأصل في زينة الحياة الدنيا الحلّ، وهو ما جاءت به الآية الأخرى في سورة الكهف- ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [سـورة الكهف:46] فالمال والبنون من نعم الله تعالى على عباده ، وليست بالمحرمة عليهم ، لكن المحرم هو الانشـغال بالفاني (المال والبنون) وترك الباقيات الصالحات ، وعليه فإن آيتي سورة الكهف تنهيان عن تحويل الحلال (زينة الحياة الدنيا) إلى حرام.

أما آية سـورة طه فقد جاءت على لسـان بنى إسـرائيل عندما عاتبهم نبيهم موسى عليه السلام على اتخاذهم العجل إذ ((شرعوا يعتذرون بالعذر البارد ، يخبرونه عن تورّعهم عما كان بأيديهم من حليّ القبط - الذى كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصـر - فقذفناها أي ألقيناها عنا))[39]. فبنو إسـرائيل تورّعوا وحرموا على أنفسـهم الحليّ الذي خرجوا به من مصـر- وكان من الممكن أن يكون ذلك غنيمةً لهم بعد أن أورثهم اللّهُ الأرض بعد هلاك فرعون وجنده - لكنهم جاءوا بما هو أشد وهو الإشراك بالله باتخاذهم العجل.

---

(39) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 181/5.

فما فعله بنو إسـرائيل أنّهم حوّلوا زينة القوم من أمر مسـكوتٍ عنه- وإلا تحدّث عنه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو معهم - إلى أمرٍ محرم.

فالدلالة الجامعة بين هذه المواضع: التحوُّل عن الزينة مع أنها حلال.

- **سُبَل السلام - سُبل رب:**

جاء لفظ "سُبَل" مضافًا للاسم الظاهر مرتين ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة المائدة:16]
2. ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة النحل68 :69].

وهناك ترابط بين السورتين ، ففي كل منهما حديث عن طعام الإنسان وما أُحلّ له وما حرم عليه ، وحديثٌ عن نسبة الولد للّه تعالى ، والشرك به -سبحانه- وحديث عن اختلاف أهل الكتاب.

أمّا الآيتان اللّتان جاء في كل منهما التركيب الإضافي فبينهما تشبيه :

ففي سورة المائدة تتحدث الآية عن القرآن الكريم وهو وحي من الله تعالى ، أنزله لهداية المؤمنين لسبيله ، ويخرجون بالقرآن الكريم من الظلمة إلى النور.

وفي سورة النحل ، النحل موحى إليه ، فمثله مثل المؤمن ، والنحل يسلك سبل الله تعالى ، فهي سبلُ الهداية التي أنزلها الحق تبارك وتعالى ، أمّا قوله (ذللاً) فقد نقل ابن كثير قولين في معناها: ((أي: مطيعة ... أي: فاسلكيها مذللةً لك))[1]. فالنحل كالمؤمن مطيعٌ لخالقه، وسبل الله مذللة من كل أذى ؛ لأنها سبل السلام. ونتيجة ذلك أن يخرج من بطونها (أى من داخل ظلمات البطن) العسل شفاء الناس.

وعن قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾قال ابن كثير في تفسيره: ((قال مجاهد وابن جرير في قوله: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾"يعني القرآن" وهذا قول صحيح في نفسه ، ولكن ليس هو الظاهر ها هنا في سياق الآية ، فإن الآية إنما ذكر فيها العسل ، ولم يتابع مجاهد على قوله ها هنا ، وإنما الذى قاله ذكروه في قوله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة الإسراء:82][2]. ثم أخذ ابن كثير يستدلّ على أن المراد بقوله تعالى ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾"العسل بما ورد في الصحيحين من أحاديث تذكر أن في العسل شفاءً من الأمراض.

---

(1) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 332/4.
(2) نفسه ، 332/4.

وبهذا -أيضًا- يُدرك التشبيه الذى جاءت به آية سورة المائدة وآية سورة النحل بين المؤمن والنحل، أو بين القرآن والعسل، والغرض منه توضيح أن اتباع وحي الله (سُبل الله) سبيل إلى النجاة والسلامة وشفاء الروح والجسد، وهذا الغرض هو الدلالة الجامعة بين التركيبين.

سميع الدعاء :

جاء لفظ "سميع" مضافًا على الاسم الظاهر مرتين ، وذلك في تركيب "سميعُ الدعاءِ" في قوله تعالى :

1. ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة آل عمران:38]
2. ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة إبراهيم:39]

الآية الأولى دعاء ذكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، والثانية في دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويقول الألوسي

في تفسيره لآية دعاء زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((أراد كثير الإجابة لمن يدعوك من خلقك، وهو تعليلٌ لما قبله، وتحريكٌ لسلسلة الإجابة، وفي ذلك اقتداء بجده الأعلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إذ قال ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[سورة إبراهيم:39] [1] وقد وصف زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ حاله وحال زوجته في هذا الشأن بقوله ﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ﴾ [سورة آل عمران:40] وهو حال يصعب معه مجيء الولد، كذلك وصفت زوجة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسها فقالت:﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ﴾ [سورة هود:72] ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [سورة الذاريات:29] فقد جمع بين إبراهيم وزكريا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حال واحد، وجاء تركيب "سميع الدعاء" مشيرًا إلى ذلك، فكلتا

الآيتين دعاء لمجيء الولد بعد كِبَرٍ وعقم، فعلى الرغم من أن معنى "سميع الدعاء" عامٌ لكل الأدعية ، إلا أن السياق في القرآن الكريم يجعل للتركيب خاصيّة دلالية، ومن البليغ في هذا الجمع بين آيتي "سميع الدعاء" أن إحداهما كانت دعاءً قبل الإجابة، والثانية كانت ثناءً على الإجابة في سياق الدعاء، فالمولى عز وجل يعلّم الناس موطن الدعاء وطريقته، ويؤكد على الإجابة، ويعلمهم الشكر عليها.

(1) الألوسي ، روح المعاني ، 145/3.

- **أسماء هؤلاء - تسمية الأنثى :**

جاء لفظ "أسماء" ولفظ "تسمية" مضافين للاسم الظاهر، وهما من مادة (اسم)، وبين التركيبين جامع، فقد جاء لفظ "أسماء" مضافًا للاسم الظاهر مرة واحدة ، ولم يأتِ لفظ "تسمية" في القرآن الكريم إلا مرّة واحدة أضيف فيها للاسم الظاهر، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة البقرة:31]
2. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [سورة النجم27 :28]

يقول ابن كثير في تفسيره لآية سورة البقرة: ((هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم ... علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية))(43).

(43) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 94/1.

فهذه الآية حوار بين الله تعالى وملائكته، وتدلّ على أن الله وحده هو المسـمّي لحقيقة الأشـياء والكائنات ومنها الملائكة؛ لأنه خلقها والعالم بذواتها ، وهو المعلم لأسمائها ، ومن دون تعليمه لنا يكون الجهل بها.

وفي آية سورة النجم يردّ الله تعالى جهل المشركين بحقيقة الملائكة ، وهو جهل أفضى إلى الشرك وتسمية الملائكة بغير أسمائها الحقيقية.

فالجامع بين الموضعين أنهما يردّان إلى الله تعالى العلم بحقيقة الملائكة ، فهي حقيقة غيبية ، بالنسبة للبشر ، وهو وحده المبين لحقائق الأشياء والكائنات ، وهي حقائق مجهولة في غير تعليمه سبحانه لنا.

وفي هذا الرابط ردّ على المشركين إذ أن الملائكة أنفسهم لم يكونوا عالمين بأسماء الأشياء من غير تعليم الله لهم ، فكيف بالبشر يخرقون لله تعالى البنين والبنات من دون علم ، وهم -البشر- يقرّون بعدم رؤيتهم لما هو غيبي ، فهم يدركون أن ادّعاء الولد لله تعالى ادعاءٌ بالغيب ، فتردّ الآيتان علم الغيب إلى الله وحده.

- **سيئات ما عملوا -سيئات ما كسبوا - سيئات ما مكروا:**

جاء لفظ "سيئات" مضافًا في هذه التراكيب الإضافية كما جاء مضافًا للضمير، وقد لازمت اللفظ مضافًا لغير الضمير دلالةٌ غير الدلالة التي لازمت اللفظ مضافًا للضمير.

فلفظ "سـيئات" جاء مضـافًا لغير الضـمير (وذلك في التراكيب الإضـافية السابقة) ست مرّات، وهي في قوله تعالى:

1. ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٣٣ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [سورة النحل 33 :34]
2. ﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ٤٧ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [سورة الزُّمر 47 :48]
3. ﴿ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ [سورة الزُّمَر :51]
4. ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [سورة غافر 43 :45].
5. ﴿ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [سورة الجاثية :33].

ففي المواضع الأربعة الأولى صرّحت الآيات بوصف أصحاب السيئات بالظالمين، ففي الموضع الأول: ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ وفي الموضع الثاني: ﴿ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ وفي الموضع الثالث والموضع الرابع: ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ ، فالسيئات عمل الظالمين وبسببها كان عذابهم.

وجاء الموضع الخامس في سورة غافر مع دعوة مؤمن آل فرعون قومه للإيمان ، وتصف الآيات قوم فرعون بأنهم مسرفون ، وتوضح أن فرعون وقومه أرادوا المكر بالمؤمن، وهو ظلم له ، يدلّ على هذا الظلم دعوة المؤمن التي فوّض فيها أمره إلى الله تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [سورة غافر:44]

كما يدلّ على ظلم فرعون ما وصفته به آيات سورة غافر: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [سورة غافر:34] ، ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [سورة غافر:35] فسياق تركيب "سيئات ما مكروا" يتحدث عن الظلم الذى أراده فرعون وقومه برجلٍ مؤمن منهم لا يريد لهم إلا الصلاح ، ويخاف عليهم من العذاب.

وجاء الموضع السادس في سورة الجاثية ، ولم تذكر السورة من الأقوام السابقة غير بني إسرائيل بما يفيد ظلمهم لأنفسهم بعد ما أنعم الله عليهم بنعم كثيرة ، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الجاثية16 :17]

فالآيات توضح كثرة نعم الله تعالى على بنى إسرائيل ، لكن ظلموا حق هذه النعم من الشكر والطاعة ، فكان عصيانهم كما تقول الآيات "بغيًا" ، أي ظلمًا ، يقول ابن منظور: ((وبغى عليه يبغي بغيًا: علا عليه وظلمه))[44] ثم تُوجّه آيات

سورة الجاثية الخطاب للرسول محمد ﷺ وتصف المخالفين له بالظالمين ، يقول تعالى﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الجاثية:19] وتتوعدهم الآيات بالعذاب يوم القيامة جزاء ظلمهم بردّ الحق ، إذ كانوا مستكبرين مجرمين ، يقول تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [سورة الجاثية:31]

(44) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بغي).

فهو ظلم ناتج من الاستكبار بغير الحق، ولهذا تُختم السورة بإقرار أن الكبرياء لله وحده ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة الجاثية 36 :37] فسياق سورة الجاثية التي جاء فيها التركيب الإضافي يصف أصحاب السيئات بالظالمين، ويتوعدهم بالعذاب.

وعليه فإن جميع مواضع إضافة لفظ "سيئات" لغير الضمير جاء فيها وصف أصحاب السيئات بالظالمين ، المستحقين للعذاب، وقد يبدو الأمر مجرد توافق بين لفظ "السيئات" ووصف أصحابها بالظالمين، إلا أن قصد وجود هذه الدلالة يظهر عندما لا تأتى هذه الدلالة مع لفظ "سيئات" مضافًا للضمير؛ فلفظ "سيئات" أضيف للضمير خمس عشرة مرّة ، وفي جميعها لازمته دلالة تقابل دلالة إضافته لغير الضمير ، إذ لازمت لفظ "سيئات" مضافًا للضمير دلالة غفران السيئات والتجاوز عنها ، يقول تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [سورة البقرة:271] ويقول: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ﴾ [سورة الفرقان:70] ويقول:

﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [سورة الأحقاف:16] فلفظ "سيئات" مضافًا لغير الضمير جاء في تركيب (سيئات ما) مع دلالة وصف أصحاب السيئات بالظالمين والوعيد لهم ، وجاء لفظ "سيئات" مضافًا للضمير مع دلالة غفران السيئات ، وهي دلالة تقابل الدالة السابقة.

- **سواء السبيل - سواء الصراط - سواء الجحيم:**

جاء لفظ "سواء" مضافًا للاسم الظاهر تسع مرات ، وذلك في تركيب "سواء السبيل" ست مرات ، وفي تركيب "سواء الصراط" مرّة واحدة ، وفي تركيب "سواء الجحيم" مرتين.

فقد جاء تركيب "سواء السبيل" ست مرات ، خمس مرّاتٍ منها لمن يضلّ بعد الإيمان، فيتحوّل من الهداية إلى الضلالة، وهي في قوله تعالى:

1. ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[سورة البقرة:108]
2. ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة:12]
3. ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة:60]
4. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[سورة المائدة 77 :78]

5. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[سورة الممتحنة:1]

وتشترك هذه المواضع الخمسة في الحديث عن التحوّل من الإيمان والهداية إلى الكفر والضلال.

إذ تتحدّث عن إسرائيل في المواضع الأربعة الأولى ، وقد أنزل الله تعالى إليهم الهداية، لكنهم بدّلوا وحرفوا ، وضلوا عن سواء السبيل.

وينهى الله تعالى المؤمنين عن تولي الكفار من اليهود أو المشركين – وذلك في الموضع الخامس – لأن في ذلك ميل لهم ، فهو سبيل للتحويل عن الإيمان وأهله إلى الكفر وأهله.

أمّا المرّة السادسة التي جاء فيها تركيب "سواء السبيل" فهي في قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة القصص:22]

وهي بعد خروج موسى عليه السلام خائفًا ؛ إذ قتل رجلاً من عدوّه.

وإذا كان القتل لا يحسن لموسى وهو نبي كما لا تحسن الضلالة بعد الإيمان ، فإنّ هذا التركيب "سواء السبيل" يشترك مع تركيب "سواء الصراط" في دلالة خاصة ، فتركيب "سواء الصراط" جاء مرّة واحدة وذلك في قوله تعالى:

﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ [سورة ص:22] إذ يشترك تركيب "سواء الصراط" مع تركيب "سواء السبيل" الذى جاء في دعاء موسى عليه السلام في أمور:

1- أنهما دعاء بالهداية.

2- في كليهما خاف النبيان موسى وداود عليهما السلام .

3- أنهما يقصان خطأ النبيين في الحكم بين خصمين اثنين.

4- اشتركا في رقم الآية.

وجاء تركيب "سواء الجحيم" مرتين ، يقول تعالى :

1. ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة الصافات51 :55]

2. ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [سورة الدخان47 :49]

فهما مع وصف الانتقال من الصحبة والكرامة في الدنيا إلى الإهانة في الآخرة.

فالجامع بين هذه التراكيب الإضافية أنها للانتقال من حالٍ إلى حالٍ أسوأ ، فهي من الإيمان إلى الكفر ، أو من هداية الناس إلى الحكم الخطأ بينهم، أو من الكرامة إلى الإهانة، مع شدة التقارب بين "يهدينى سواء السبيل" و "اهدنا إلى سواء الصراط".

- **شجرة الخلد - شجرة الزقوم :**

جاء لفظ "شجرة" مضافًا للاسم الظاهر ثلاث مرات ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [سورة طه:120]
2. ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾

[سورة الصافات 62 :65]

3. ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة الدخان 43 :44]

فتركيب "شجرة الخلد" اسم لشجرة في السماء، نهى الله تعالى آدم عليه السلام من أكلها، فكانت فتنةً له، إذ وسوس الشيطان إليه بأنها شجرة تعطي الخلد لآكلها، وكان ذلك ادّعاءً من رأس الشيطان ، فأكل منها آدم عليه السلام فأساءت إليه.

وتركيب "شجرة الزقوم" اسم لشجرة في السماء ، جعلها الله تعالى فتنةً للظالمين ، إذ أنها تنبت في أصل الجحيم ، وطلعها كأنه رؤوس الشياطين ، وهي شجرة خالدة للخالدين في جهنم ، تسيء لآكلها.

فالدلالة التي لازمت إضافة لفظ "شجرة" للاسم الظاهر : أن التركيب الإضافي اسمٌ لشجرة في السماء ، وهي فتنة ، وتسيء لآكلها.

- **شفا حفرة - شفا جرف :**

جاء لفظ "شفا" مرتين في القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى:

1. ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

[سورة آل عمران:103]

2. ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة التوبة:109]

يقول الزمخشري في تفسيره لآية آل عمران التي جاء فيها تركيب "شفا حفرة": ((كما كنتم متفرقين في الجاهلية ... وقيل: هم الأوس والخزرج ، كانا أخوين من أبٍ وأم فوقعت بينهم العداوة ، وتطاولت الحرب مائةً وعشرين سنة إلى أنْ أطفأ اللّه ذلك بالإسلام))[45] فهي عداوة جاهلية مبعثها العصبية التي تفرّق بين الصف الواحد.

ونزلت آية التوبة التي جاء فيها تركيب "شفا جرف" عندما أسس المنافقون مسجد الضرار للتفريق بين المسلمين ، يقول الزمخشري عن تأسيس النفاق لهذا المسجد: ((أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها وأقلها بقاءً ، وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل شفا جرفٍ هار في قلّة الثبات والاستمساك ... والشفا: الحرف والشفير ، وجرف الوادي: جانبه الذى يتحفّر أصله بالماء))[46].

فالفرق بين تركيب "شفا حفرة" وتركيب "شفا جرف" أنّ العداوة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام كانت معلنة ، فهي حفرة ظاهرة ، لذلك جاء وصفهم "كنتم على شفا حفرة" ، أمّا العداوة والفرقة التي أرادها المنافقون بعد الإسلام فقد كان وراءها المنافقون الذين يبطون الكفر ولا يعلنونه ،

(45) الزمخشري ، الكشاف ، 348/1.
(46) نفسه ، 333/2.

فجاء الحديث عن النفاق بتركيب "شفا جرف" لأن أرض النفاق تبدو وكأنها مستوية للسير عليها ، لكنها هائرة تخدع من يسير عليها ، فباطن هذه الأرض أجوف لأنه جرف هار كباطن المنافق ،

فالحفرة (العداوة قبل الإسلام) ظاهرة معلنة، والجرف (النفاق) خفي خادع.

وفي دلالة لفظ "شفا" على القرب من النزول في حمية الفتنة تحذير من الانسياق وراء دواعي التفرقة التي يبدو الصلاح في ظاهرها ، كالحميميّة المبالغ فيها بين ذوي العصب ، وكتأسيس مسجد يقوم على التفرقة ، فظاهر ذلك مستساغ لدى النفوس ، لكنه يقود إلى العداوة والفتنة.

فالجامع بين التركيبين أن كليهما في التفريق والعداوة بين الجماعة الواحدة ، وأسباب أثارة الفتنة التي في ظاهرها القبول ، وفي كليهما نزول إلى النار. وفائدة هذا التلازم التذكير بنعمة الإسلام التي وحّدت بين المسلمين ، وأنّ الفرقة بعد الإسلام عودة للجاهلية.

- **صاحب الحوت - صاحبي السجن – أصحاب... :**

جاءت ألفاظ "صاحب" "صاحبي" "أصحاب" مضافةً إلى اسم الظاهر في تسعةٍ وسبعين تركيبًا، هذه التراكيب هي:

صاحب الحوت (مرّة واحدة) صاحبي السجن (مرّتين) أصحاب الأيكة (أربع مرات) أصحاب الجحيم (ست مرات) أصحاب الجنة (أربع عشرة مرّة) أصحاب الحجر (مرّة واحدة) أصحاب الأخدود (مرّة واحدة) أصحاب الرس (مرتين) أصحاب السبت (مرّة واحدة) أصحاب السعير (ثلاث مرات) أصحاب السفينة (مرّة واحدة) أصحاب المشأمة (ثلاث مرات) أصحاب الشمال (مرّتين)

أصحاب الصراط (مرّة واحدة) أصحاب الأعراف (مرّة واحدة) أصحاب الفيل (مرّة واحدة) أصحاب القبور (مرة واحدة) أصحاب القرية (مرّة واحدة) أصحاب الكهف (مرّة واحدة) أصحاب مدين (مرتين) أصحاب موسى (مرة واحدة) أصحاب النار (عشرين مرة) أصحاب الميمنة (ثلاث مرات) أصحاب اليمين (ست مرات) (47).

والجامع بين هذه التراكيب: أنها تفيد ملازمة المكان.

(47) يمكن الرجوع للآيات في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (صحب) صفحة494.

فكلٌ من: "الكهف ، الأيكة ، الحجر ، الأخدود ، الرسّ ، القرية ، مدين" أماكن لازمها أصحابها.

وكذلك "السجن، القبور" مكانان محل ملازمة لمن فيها.

و"الأعراف" مكان في الآخرة لا يستطيع من عليه أن يغادره إلى غيره ، يقول الزمخشري: ((يُحْبسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في دخول الجنة))(48)، ويقول ابن كثير: ((الأعراف : حجاب بين الجنة والنار، سور له باب))(49) ، فالأعراف مكان يجب ملازمته.

وكلٌ من "الجنة ، الميمنة ، اليمين ، الجحيم ، السعير ، المشأمة ،الشمال ، النار" أماكن الجزاء في الآخرة يلازمها من دخل فيها.

أما " الصراط " فقد جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾[سورة طه:135] وهي تفيد تمسك المؤمنين بعقيدتهم السوية ، وهي تدلّ على ملازمة المكان لأن الصراط هو الطريق، وهو مثال ملازمة المؤمن للعقيدة.

أما "السبت" فهو يوم مُكث اليهود في منازلهم ، فهو يفيد ملازمة المكان.

و"السفينة" هي سفينة نوح وقت الطوفان ، فكانت مكان ملازمة.

(48) الزمخشري ، الكشاف ، 157/2
(49) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 245/3

وتركيب "أصحاب موسى" وهو التركيب الوحيد الذي أضيف فيه لفظ "أصحاب" للبشر، جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [سورة الشعراء:61] فالسياق يُظهر دلالة ملازمة المكان أمام البحر، انتظارًا لمعجزة نصر الله تعالى لأصحاب موسى، فالبحر أمامهم، وفرعون وجنوده من ورائهم.

وأضيف لفظ "صاحب" لاسم الحيوان: "الحوت" وكان كالسجن ليونس عليه السلام، ويدلّ على ذلك ما ذهب إليه الزركشي والسيوطي من أنّ "ذا النون" في قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ [سورة الأنبياء:87] أشرف من "صاحب الحوت" في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [سورة القلم:48]، يقول الزركشى: ((فالإضافة بـ"ذى" أشرف من الإضافة بـ"صاحب"، ولفظ النون أشرف من الحوت))[50] ويقول السيوطي: ((فإنه حين ذكره في معرض الثناء عليه أتى بـ "ذا" ...

وليس في لفظ الحوت ما يشرّفه بذلك، فأتى به و"صاحب" حين ذكره في معرض النهى عن اتباعه))[51] فالله تعالى ينهى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم عن أتباع صاحب الحوت (يونس عليه السلام) في تعجله إيمان قومه، فالتركيب هنا جاء في معرض النهي والعقاب، فيفيد ملازمة الحوت

(50) الزركشيّ، البرهان، 162/1.
(51) السيوطي، الإتقان، 196/2.

كالسجن.

واسم الحيوان "الفيل" كان مكانًا لازمه أصحابه ، لا يتقدّم بهم نحو الكعبة.

فهذه التراكيب الإضافية التي جاء فيها المضاف لفظ "صاحب ، صاحبي ، أصحاب" أفادت الملازمة للمكان.

- **صحف موسى- صحف إبراهيم :**

جاء لفظ "صحف" مضافًا للاسم الظاهر مرتين ، وذلك في **قوله تعالى :**

1. ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ [سورة النجم 36 :37]
2. ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [سورة الأعلى 18 :19]

والسؤال هنا: لماذا صحف إبراهيم وموسى دون غيرهما **كعيسى** عليه السلام ؟

والسبب في ذلك أن الإمامة تجمع بينهما ، فإبراهيم -عليه السلام- أبو الأنبياء ، وقال له الله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [سورة البقرة:124]

وموسى عليه السلام صاحبُ التوراة إمامِ الكتب السماوية الباقية ذكرها وأتباعها ، والموجودة أثناء نزول القرآن الكريم؛ لذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗ ﴾ [سورة هود:17] فالدلالة الملازمة لإضافة لفظ "صحف" للاسم الظاهر

هي دلالة الإمامة التي تجمع بين إبراهيم وموسى عليهما السلام .

- **تصديق الذي:**

لم يرد لفظ "تصديق" إلا مرتين في القرآن الكريم ، يقول تعالى :

1. ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة يونس:37]
2. ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [سورة يوسف:111].

ففي كلا الآيتين أضيف لفظ "تصديق" للاسم الموصول ، وكلاهما وصف للقرآن الكريم، والآية الأولى جاءت في سورة يونس ، وهي السورة التي تتحدّث عن إيمان قوم يونس دون سائر الأقوام السابقة التي خالفت أنبياءها ، يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ ﴾ [سورة يونس:98] فقوم يونس آمنوا بعد خروج نبيهم يونس عليه السلام ، وتدلّ صيغة الاستثناء في الآية بـ "لولا" و"إلاّ" على استثناء قوم يونس من الأقوام السابقة.

والآية الثانية جاءت في سورة يوسف بعد الحديث عن قصة يوسف عليه السلام مع إخوته الذين آذوه وأخرجوه ، وتبين الآيات في سورة يوسف ندمهم واعترافهم بخطئهم يقول تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [سورة يوسف91 :92] ويقول تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة يوسف 97 :98] وعليه تكون الدلالة الملازمة للتركيب الإضافي "تصديق الذى" : حديث السورة عن الذين تابوا بعد مخالفتهم لنبيهم وخروجه من بلدتهم ، وبذلك لم يهلكوا كسائر الأقوام السابقة.

وهذه الدلالة الملازمة تربط -أيضـًا- بين حديث الآيتين عن القرآن الكريم وسورتي يونس ويوسف ، فالتركيب الإضافي "تصديق الذي" جاء لوصف القرآن

الكريم ، ولم يأت إلا في هاتين السورتين ، وذلك لأنّ قوم رسول الله محمد ﷺ الذي أنزل عليه القرآن الكريم يشتركون مع قوم يونس وأخوة يوسف في دلالة إيمانهم بعد خروج نبيهم من بلدتهم.

- **صنعة لبوس - صنع الله :**

جاء لفظ "صنعة" في القرآن الكريم مرّة واحدة ، وذلك في التركيب الإضافي "صنعة لبوس" ، وجاء لفظ "صنع" في القرآن الكريم مرتين ، مرّة في التركيب الإضافي "صنع الله" ومرّة مقطوعًا عن الإضافة ، فقد جاء تركيب "صنعة لبوس" وتركيب "صنع الله" في قوله تعالى :

1. ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الأنبياء79 :80]
2. ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة النمل:88]

إنّ موضــع ســورة الأنبياء الذي جاء فيه تركيب "صــنعة لبوس" يتحدّث عن تسخير الله تعالى الجبال مع داود عليه السلام، وتبيّن الآيات أن صنعة اللبوس علم من الله تعالى لداود عليه السلام، فهو وحي لنبيه بهذه الصنعة ليعمل البشرُ ما هو وقاية لهم.

ويبيّن موضع سورة النمل أنّ المراد بتركيب "صنع الله" الجبال، ويلاحظ أنه في أول سورة النمل يذكر داود عليه السلام وابنه سليمان مع أهل سبأ أولي القوة والبأس، وذلك من الآية (15) حتى الآية (44)، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾ [سورة النمل:15] وقد ارتبطت الجبال مع داود عليه السلام متقدّمةً على غيرها في سورة سبأ ، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ (١٠) ﴾ [سورة سبأ:10]

كما ارتبطت الجبال في القرآن الكريم بالحماية والوقاية ، يقول تعالى: ﴿ وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ [سورة الأعراف:74] وتشترك في ذلك مع الملابس، يقول تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ [سورة النحل:81]

وارتبطت الجبال في القرآن الكريم بالملابس تشبيهًا للجبال بألوان الثياب ، يقول تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [سورة فاطر:27] يقول الزمخشري: ((والجُدَد: الخِطط والطرائق ... ويقال جُدَّة الحمار: للخطة السوداء على ظهره ، وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه))(52). فمعنى "جُدُد" ما يظهر من اللون ، وأصلها للثياب كما يقول ابن منظور: ((وجديد الأرض وجهها .. جَدّ الثوب والشيء يجد - بالكسر - صار جديدًا ، وهو نقيض الخَلِق ... وثياب جُدَد مثل: سرير وسُرُر... وثوب جديد وهو في معنى مجْدود ، يراد به حين جدّه الحائك أي قطعه))(53)

فلفظ "جُدُد" الذى أصله لما يُلبس يربط بين الجبال والملابس في أشكالها.

كما ارتبطت الجبال في القرآن الكريم بما تُصنع منه الملابس ، يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [سورة القارعة 4 :5]

(52) الزمخشري ، الكشاف ، 631/3.
(53) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (جدد).

يقول الزمخشري: ((وشبّه الجبال بالعهن - وهو الصوف المصبغ ألوانًا - لأنها ألوان ، وبالمنفوش منه لتفرّق أجزائها))(54).

وإذا كانت صنعة لبوس وحي من الله لنبيه عليه السلام، فإن الجبال ارتبطت في القرآن الكريم بالوحي ، كجبل الطور الذي شهد أول كتابٍ سماوي (التوراة) ، وكارتباط بالقرآن ، يقول تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [سورة الحشر :21]

فالجبال التي يصفها تركيب "صنع الله" جاء ذكرها مع تركيب "صنعة لبوس" وارتبطت معها في القرآن الكريم بداود عليه السلام، وبالحماية والوقاية ، وبألوان الملابس وما تصنع منه، وبالوحي، وهذا الترابط بينهما غرضه الإشارة إلى أن وحي الله تعالى وهدايته للبشر وأمره لهم بالتقوى ؛ وقايةٌ لهم ، فكل ما أمر الله تعالى به يكون كالجبال وكصنعة اللبوس في أنه وقايةٌ من الضلال والشرور.

وقد جاء لفظ "صنع" مقطوعًا عن الإضافة في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾ [سورة الكهف:104] من غير وجود للدلالة التي تجمع بين

(54) الزمخشري ، الكشاف ، 625/4.

تركيبي "صنع الله" و"صنعة لبوس".

- **صوت الحمير - صوت النبي :**

جاء لفظ "صوت" مضافًا للاسم الظاهر مرتين ، والدلالة المتلازمة لإضافة لفظ "صوت" للاسم الظاهر دقيقة الفرق عن الدلالة التي تلازم لفظ "صوت" و"أصوات" في جميع أحواله في القرآن الكريم.

فقد جاء لفظ "صوت" و"أصوات" في أربعة مواضع في القرآن الكريم ، وهي كما يلي:

1- قوله تعالى : ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ ﴾ [سورة الإسراء:64]

2- قوله تعالى : ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة طه:108]

3- قوله تعالى : ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة لقمان:19]

4- قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الحُجُرات:2]

ففي موضعين من هذه المواضع الأربعة جاءت الإضافة للاسم الظاهر (وذلك في الموضع الثالث والموضع الرابع) ولم تأتِ الإضافة للاسم الظاهر في الموضعين الآخرين (الموضع الأول والموضع الثاني)

وتشترك هذه المواضع الأربعة في دلالة تلازمها هي دلالة خفض الصوت .

ففي الموضع الأول في سورة الإسراء ـــ الذي لم تأت فيه الإضافة للاسم الظاهر ـــ جاء الصوت منسوباً لإبليس ،إذ جاء الأمر من الله تعالى ليسعى إبليس بصوته وخيله ورجله لغواية الإنسان ، وغواية إبليس للإنسان بصوته تسمى : وسوسة ، يقول تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾[سورة الأعراف:20] ويفسر الزمخشري (الوسوسة) بقوله :((الوسوسة ، الصوت الخفي ، ومنها وساوس الحليّ ، ووسوسة النفس ما يخطر ببال الإنسان ، ويهجس في ضميره من حديث النفس))(55) فالوسوسة صوت خفي جداً قد تصل إلى درجة اللاصوت ، كما

(55) الزمخشري ، الكشاف ، 268/4

يقول تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ﴾ [سورة ق:16] .

والموضع الثاني وهو في سورة طه – والذي لم تأت فيه الإضافة للاسم الظاهر – يتحدّث عن الأصوات يوم القيامة ، إذ لا صوت ، فالأصوات خاشعة لله تعالى ، وما يسمع من صوت إنما هو صوت الأرجل يوم القيامة ، يقول الزمخشري عن معنى قوله تعالى﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [سورة طه:108] : ((الركز الخفي ... وقيل : هو من همس الإبل ، وهو صوت أخفافها إذا مشت . أى : لا يسمع إلا خفق الأقدام ، ونقلها إلى المحشر))[56] فالأصوات يوم القيامة خاشعة بأمر الله تعالى ،

لا يسمع وقتها إلا خفق الأقدام (الهمس) .

وفي الموضوعين الثالث والرابع تأتي الإضافة للاسم الظاهر في تركيبي " صوت الحمير "و " صوت النبي " ، وهذان الموضوعان يأمر فيهما الله تعالى عباده أن يخفضوا من أصواتهم ، ففيهما دلالة خفض الصوت أيضاً .

فقد لازمت دلالة خفض الصوت لفظ " صوت " و" أصوات " مع الإضافة للاسم الظاهر ومع غيرها، غير أنه توجد خصوصية لدلالة خفض الصوت مع الإضافة للاسم الظاهر في تركيبي " صوت الحمير " و " صوت النبي

(56) الزمخشري ، الكشاف ، 166/3

" إذ جاء تركيب " صوت الحمير " في سورة لقمان عليه السلام بوجوب خفض الصوت ﴿...وَٱغْضُضْ...﴾ [سورة لقمان:19] ، فيدل قوله تعالى ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة لقمان:19] على وجود صوت مرتفع وهو منكر ، والأمر الشرعي من الله تعالى بخفض الصوت ، والأمر الشرعي يمكن للمأمور مخالفته آثماً، وجاء تركيب " صوت النبي " في سورة الحجرات مع الأمر الشرعي من الله تعالى بخفض الصوت عند رسول الله ﷺ ، وتشير الآيات إلى وجود من يجهر بصوته ، وهو أمر منكر ،لا ينبغي فعله مع رسول الله ﷺ.

فمع تركيبي "صوت الحمير" و "صوت النبي" يأتي الأمر الشرعي بخفض الصوت ، وهو أمر يمكن مخالفته وفي كليهما الأمر من الله لمن في الأرض.

وهذه الدلالة التي لازمت موضعي الإضافة للاسم الظاهر غير موجودة في الموضعين الآخرين ، حيث لم تأتِ الإضافة للاسم الظاهر، فأمر الله تعالى لإبليس ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [سورة الإسراء:64] أمرٌ قدري لا يمكن لإبليس مخالفته، والمأمور – إبليس – وقع عليه الأمر وهو في السماء ، ووسوسته تكاد لا تسمع، وخشوع الأصوات يوم القيامة أمر قدري، يصدر للمأمور في السماء إذا يُبعث من في الأرض وتنسف الجبال ولا يمكن لأحدٍ مخالفته، فلا يُسمع وقتها إلا وقع الأقدام (الأرجل، وهو يربط أيضاً بين موضع الهمس وموضع ووسوسة إبليس، إذ أن غواية إبليس تكون بصوته وخيله ورجله) والهمس كالوسوسة في شدة انخفاض الصوت .

- **صيام ثلاثة ـ صيام شهرين :**

أضيف لفظ (صيام) للاسم الظاهر أربع مرات وذلك في قوله تعالى:

1. ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة البقرة:196].
2. ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ [سورة النساء:92]
3. ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ [سورة المائدة:89]
4. ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤)﴾

5. [سورة المجادلة3 :4] .

ففي المواضع الأربعة جاء وجوب صيام ثلاثة أيامٍ في الحجّ على المتمتع إن لم يجد الهدي ، كما يجب صيام شهرين على من قتل خطأ إن لم يجد الدية وتحرير الرقبة ، ويجب صيام ثلاثة أيام على من حنث في اليمين إن لم يجد طعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، كما يجب صيام شهرين على مَن يظاهر مِن نسائه إن لم يجد القدرة على تحرير رقبة .

ففي جميع المواضع الأربعة يأتي الصيام تخفيفاً لا تخييراً في الجزاء .

فالدلالة الملازمة للفظ (صيام) مضافاً للاسم الظاهر هي جعل الصيام تخفيفاً لمن لم يجد ما عليه أداؤه ككفارة، ويؤكد ذلك أن اللفظ جاء في الكفارات مقطوعاً عن الإضافة من غير هذه الدلالة ، يقول تعالى ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [سورة البقرة:196] وقوله تعالى: ﴿هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ﴾ [سورة المائدة:95]

فلفظ "صيام" غير المضاف جاء في التخيير بين أنواع الكفارة وليس تخفيفاً لمن لم يجد الكفارة .

- **إطعام عشرةِ مساكين – إطعام ستين مسكيناً :**

جاء لفظ " إطعام " مضافاً إلى الاسم الظاهر مرتين ، يقول تعالى :

1. ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [سورة المائدة:89]
2. ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [سورة المجادلة:4]

ففي آية سورة المائدة جاء التركيب الإضافي كفارة للحنث في اليمين ، وفي آية سورة المجادلة جاء التركيب الإضافي كفارة للظهار، ويجب في الظهار الكفارة ، لأنه تشبيه باطل بين الزوجة والأم ، وهو طلاق الجاهلية ، فيجب الرجوع عنه (الحنث فيه) والكفارة ، يقول تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [سورة المجادلة:2] فالظهار كاليمين المنعقدة التي يحنث صاحبها فيها .

فالدلالة التي لازمت لفظ " إطعام " مضافاً للاسم الظاهر هي : الكفارة عن العمل القولي، أي عن عزم اللسان على فعلٍ في المستقبل لا يقع .

ومن الملاحظ مجيء صيغة " إطعام " على وزن " إفعال " من الفعل المتعدي (أطعم) ، وهو الأصل ، لأن هذه الكفارة جاءت لمن عزم على فعلٍ ثم لا يفعله ، فجاءت الكفارة بالصيغة الدالة على وصول (تعدي) الطعام إلى المساكين تأكيداً على فعل الكفارة، أما قوله تعالى:

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [سورة البقرة:184]

وهي كفارة من لا يطيق الصوم ، وقوله تعالى : ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ﴾ [سورة المائدة:95] وهي كفارة من قتل صيداً في الحرم ، فهما عدول عن لفظ " إطعام " إلى لفظ " طعام " الدال على جنس الطعام ، والسبب في ذلك أن الكفارة فيهما كفارة عن طعام أُكِل في الصوم، وعن طعامٍ صِيد في الحرم، فجاءت الكفارة بالصيغة الدالة على جنس الشيء " طعام " ليبيّن أنه عوض عن طعام محظور، وهي مع دلالة ما يكره من العمل الفعلي ، وليس القولي مثل (إطعام) مضافًا.

- **عبد الله :**

جاء لفظ (عبد) مضافاً للاسم الظاهر مرتين ، وذلك في تركيب (عبد الله) ، مرّة لعيسى عليه السلام وهو يكلّم الناس في المهد ، ومرّة لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يكلّم الجن ، يقول تعالى :

1. ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة مريم29 :30].
2. ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الجن19 :20].

فسياق آية سورة مريم (الموضع الأول) يشير إلى صوم مريم هعن كلام أحدٍ من البشر (إنسياً) يقول تعالى ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾[سورة مريم:26] فعندما يتعذر حديث مريم همع البشر يتكلّم عيسى عليه السلام في مهده لإفهام البشر حقيقته التي تنافي الشرك مع الله تعالى بادعاء اتخاذه الولد ، وكلام المسيح عليه السلام في المهد أمرٌ معجز يتعذر فِعلُه من البشر.

ويركز سياق آية سورة الجن (الموضع الثاني) على قضية التوحيد ونفي اتخاذ الولد ، يقول تعالى على لسان الجنّ ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [سورة الجن:3] وتتحدث آية التركيب الإضافي عن كلام رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم مع الجنّ لدعوتهم إلى التوحيد ، وهو ما يتعذر فعله لغيره صلى الله عليه وسلم من البشر.

فالدلالة المتلازمة مع تركيب (عبد الله) : الكلام مع من يستحيل التكلم معه؛ لعدم تكافؤ طرفي الخطاب.

وهذا يذكرنا بضـرورة التكافؤ في عملية الكلام ، فكيف بها في اتخاذ الصـاحبة والولد؟! فإذا كان الرضيع لا يستطيع الحديث مع غيره لعدم التكافؤ في عملية الكلام ، وكذلك الإنس مع الجنّ ، فكيف صـحّ في مفهوم من ادّعى اتخاذ الله ولداً صـلته سبحانه بمريم ه، فأين التكافؤ ؟!

- **الإعجاز الرقمي في تركيب (عبد الله) الذي يؤكد الترابط الدلالي بين موضعيه:**

يكشـف الترابط بين موضـعي تركيب (عبدالله) عن الإعجاز الرقمي فيهما، فالآية الأولى التي ورد فيها تركيب (عبدالله) والمراد به المسيح عليه السلام، هي الآية رقم (30) وجاءت في سورة مريم ، وهي السورة رقم (19) في ترتيب المصحف الشريف، وحاصل ضرب رقم الآية في رقم السورة هو تاريخ مولد الرسول محمد ﷺ بالتقويم الميلادي، (19x30=570) يقول د. محمد حسـين هيكل: ((وقد اختلف المؤرخون في العام الذي ولد محمد فيه، فأكثرهم على أنه عام الفيل 570 ميلادية))[57] فتركيب (عبد الله) الذي جاء للمسيح عليه السلام في سورة مريم يشير رقميًا إلى صاحب تركيب (عبد الله) الذي جاء لمحمد ﷺ في سـورة الجن، وهو ما يؤكد العلاقة بين التركيبين.

[57] د. محمد حسين هيكل، حياة محمد، 125

كما أن رقم آية سـورة الجن التي ورد فيها الموضـع الثاني لتركيب (عبد الله) هو رقم (19) أيضـًا أي أنه رقم سـورة مريم التي ورد فيها الموضـع الأول لتركيب (عبد الله).

وكأنّ القرآن الكريم يؤكد بطريقة أخرى على المسـاواة بين النبيين الكريمين (المسيح ، محمد) فكلاهما بشر وكلاهما رسول مؤيد بالوحي والمعجزات.

- **عمل عامل ـ عمل الشيطان ـ عمل المفسدين :**

جاء لفظ (عمل) مضافاً إلى الاسم الظاهر أربع مرات يقول تعالى :

1. ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾[سورة آل عمران:195] .
2. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [سورة المائدة 90 :91]
3. ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [سورة يونس:81]

4. ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة القصص:15]

ففي الموضع الأول في سورة آل عمران يأتى تركيب (عمل عامل) مع حديث الآية عن إيذاء الكفار للمهاجرين وإخراجهم وقتلهم ، دون تعقّل أو رحمة ، إذ لم يكتفِ المشركون برفض دعوة التوحيد ، وإنما تعقبوا أهله بشهوة مسعورة في الإيذاء،

متعطشة للقتل ، فالآية تتحدث عن العداوة التي تصل إلى القتل بين ذوي القربى داخل البلد الواحد .

وفي الموضع الثاني في سورة المائدة ينهى الله تعالى عن الخمر والميسر ، فهي من عمل الشيطان التي يريد بها العداوة والبغضاء بين أبناء البلد الواحد ، وفي تغييب الخمر للعقل، وإثارة الميسر للضغينة ما يدفع إلى القتل .

وفي الموضع الثالث في سورة يونس تتحدث الآية عن عمل المفسدين ، وهو عمل فرعون وأتباعه ، إذ أراد قتل موسى ومن معه من المؤمنين ، وهي عداوة بين فرعون من جهةٍ، وموسى وبنى إسرائيل والمؤمنين معه من جهةٍ أخرى ،

وهي عداوة داخل البلد الواحد، وسورة يونس توضح أن الكبر وراء الكفر والإيذاء اللاحق بالمؤمنين، يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [سورة يونس:75]

فالكبر غشاوة تمنع من الأيمان واستبصار الحقيقة ، وتوصل إلى العداوة والقتل .

وفي الموضع الرابع في سورة القصص جاء تركيب (عمل الشيطان) مع الحديث عن العداوة بين رجلين داخل البلد الواحد ، إذ تُبيّن الآيات أنّ غضب موسى عليه السلام من عدوّه، وحميته لمن هو من شيعته، غيّب عقله فدفعه إلى القتل .

فقد لازمت إضافة لفظ (عمل) للاسم الظاهر دلالة العداوة داخل البلد الواحد ، وهي عداوة تصل إلى القتل ، وراءها تغييب العقل إما بالخمر أو ما يماثله من كبرٍ أو غضب .

- **معاذ الله :**

جاء لفظ (معاذ) مرتين في القرآن الكريم ، وهما في تركيب "معاذ الل " ، وكلاهما على لسان يوسف عليه السلام ، مرّة يتعوّذ فيها من ظلم امرأة العزيز له ، ومّرة يتعوّذ فيها من ظلمه لغيره بعد ما أصبح عزيز مصر، يقول تعالى:

1- ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة يوسف:23] .

2- ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة يوسف 78 :79].

ففي الموضع الأول يتعوذ يوسف عليه السلام من أن يظلم السيد الذى رباه فيخونه في عرضه ، ولم يحدث من يوسف أن خان سيده ، ومع ذلك سجن يوسف في مصر، والسجن ليوسف كان أحب إليه من الخيانة فكان إكراماً له ، يقول تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ ﴾ [سورة يوسف:33]

وفي هذا السجن تعرّف على ساقيِ الملك ، فدلّ الساقي على يوسف ليفسر رؤيا الملك ، فكان السجن سبباً في إكرام يوسف وبراءتهِ أمام الجميع ، وسبب جعله وزيراً على مصر.

أما الموضع الثاني فيتعوذ فيه يوسف - أيضا - بعد أن أصبح عزيز مصر من أن يظلم رعاياه (وهو الذى ذاق الظلم من عزيز مصر الذّى رباه) فتعوذ من أن يحتجز من لم يتهم بسرقة صواع الملك بدلا من المتهم بأخذه، والمتهم بأخذ صواع الملك أخو يوسف، ولم يسرق، ومع ذلك احتُجز في مصر ، والاحتجاز كالسجن إذ لا يسمح له بالعودة مع إخوته .

وهذا السجن (الاحتجاز) كان أفضل وأحب إلى المتهم بسرقة صواع الملك ، لأنه علم مسبقاً قبل اتهامه أنه أخٌ ليوسف عزيز مصر ، وأن اتهامه كيدٌ من يوسف ليظلّ معه ، يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ﴾ [سورة يوسف69 :70] فأخو يوسف يعلم بالمكيدة قبل اتهامه ، فلم يكن احتجازه إهانةً له بل إكراماً له .

وعليه كانت محصلة تعوذ يوسف (في كلتا المرتين) السجن في مصر إكراماً له ولأخيه.

ولعلّ ذلك يثير أمراً مأخوذاً من مجيء التعوذ في صيغة المصدر الميمي (معاذ) فالأصل في التعوذ بالله أن يكون بصيغة فعْلية (أعوذ بالله) ؛ لأنه طَلبُ العون من الله لما يطرأ من محنةٍ أو فتنة . وقد جاء التعوذ في القرآن الكريم بصيغة فعلية خمس عشرة مرّة، وذلك مثل قوله تعالى ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة البقرة:67] ولم يأت التعوّذ في القرآن بغير صيغة فعلية إلا في التركيب

الإضافي (معاذ الله) الذي جاء مرتين، وفيهما كانت محصلة التعوذّ بالله السجن في مصر إكراماً للمسجون، وكأنّ التعوّذ جاء في هذين الموضعين بصيغة المصدر الميمي لدلالة الصيغة على المكان ، يقول أحمد الحملاوي :

((صيغة الزمان والمكان والمصدر الميمي واحدة في غير الثلاثي ، وكذا في بعض أوزان الثلاثي ، والتمييز بينهما بالقرآئن ، فإن لم توجد قرينة فهو صالح للزمان والمكان والمصدر)) فدلالة صيغة (معاذ) على المكان مناسبة لدلالة الإكرام في المكان وأن يكون محصّلةُ التعوّذ الإكرام بالمكث في المكان .

ومن فائدة الربط بين موضعي (معاذ الله) تذكّر يوسف بعد أن أصبح عزيز مصر أنّ تعوّذه بالله نجاه من قبل من الخيانة ، وجعل سجن العزيز إكراماً له . ليكون التلازم الدلالي بذلك دعوة لكل من هو قادر على الظلم بأن يتذكر نعمة الله عليه في أن أنجاه من ظلم غيره ووهبه تلك القدرة .

- **عين القطر - عين اليقين :**

أضيف لفظ (عين) للاسم الظاهر مرتين ، وذلك في قوله **تعالى :**

1. ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة سبأ:12]
2. ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة التكاثر 5 :7]

والمراد بعين القطر كما يقول الزمخشري : ((معدن النحاس ولكنه أساله كما ألان الحديد لداود فنبع كما نبع الماء من العين)) [1] وصهر المعادن يكون بالنار شديدة الحرارة ، فحمل التركيب (عين القطر) الدلالة المضادة للفظ (عين) فدلّ (عين القطر) على النار ودلّ لفظ (عين) على الماء .

ولفظ (قطر) جاء مقروناً بالنار في القرآن الكريم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ [سورة الكهف:96] وجاء لفظ (قَطِران) في قوله تعالى﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [سورة إبراهيم:50] وفي آية سورة سبا التي جاء فيها تركيب (عين القطر) وعيد بعذاب السعير.

فالتركيب الإضافي (عين القطر) يحمل دلالة النار، وهي دلالة تضاد دلالة لفظ (عين).

وكذلك مع التركيب الإضافي (عين اليقين) جاءت دلالة النار مرتبطةً بالعين ، إذ تدلّ آيات سورة التكاثر على يقين المعاينة وعلم الرؤية لنار الجحيم .

ومن يشاهد عين الإنسان التي تنظر إلى النار خاصة في موقف الهول والفزع ، يلحظ صورة النار ووهجها داخل حدقة العين ، كما أن القطر داخل عين القطر.

فالدلالة الملازمة لإضافة لفظ (عين) للاسم الظاهر هي : دلالة النار المرتبطة بالعين .

---

(1) الزمخشري ، الكشاف ، 596/3

- **قتل أخيه ــ قتل أولادهم:**

جاء لفظ (قتل) مضافاً للاسم الظاهر مرتين ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [سورة المائدة:30]
2. ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ ﴾ [سورة الأنعام:137]

والجامع بينهما :

1. أنهما يصوّران القتل في أسوأ صوره (قتل الأخ أو الولد) والمقتول لا يدافع عن نفسه .
2. أن سـبب القتل القربان يقول تعالى ﴿ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ [سورة المائدة:27] وتصف آية سورة الأنعام قتل المشركين أولادهم ليكونوا قرابين لشركائهم .
3. الآيتان تظهران الدافع النفسي (طوّعت له نفسه) (زُيّن) .

والربط بين التركيبين (قتل أخيه ، قتل أولادهم) يفيد تبشـيع جريمة القتل ، لأنها تكون للأخ أو الابن، وكأنّ قتل الإنسان للإنسان هو قتل لأخيه في الإنسانية، أو لخليفته في تعمير الأرض، ففي قتل الأخ أو الابن جميع صـور القتل ؛ إذ لا يمكن للإنسان قتل من مات ، وإنما يقتل من يعيش معه وقد يخلفه .

- **تقدير العزيز :**

جاء لفظ (تقدير) ثلاث مرّاتٍ مضافاً إلى اسم الجلالة (العزيز) وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [سورة الأنعام:96]
2. ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [سورة يس:38]
3. ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة فُصِّلَت:12]

ومعنى قوله تعالى ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾[سورة الأنعام:96] ((والشمس والقمر مجعولان حسباناً أو محسوبان حسباناً ، ومعنى جعل الشمس والقمر حسباناً : جعلهما على حسبانٍ، لأنّ حساب الأوقات يُعلم بدورهما وسيرهما)) (1) فالمراد بالحسبان في الآية حسابُ زمني .

أما قوله تعالى﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ﴾[سورة يس:38] فإن ((المراد بمستقرها هو منتهى سيرها ، وهو يوم القيامة ، يبطل سيرها وتسكن حركتها ، وتكوّر وينتهي هذا العالم إلى غايته ، وهذا هو مستقرها الزماني . قال قتادة " لمستقرها " أي لوقتها ولأجل لا تعدوه))(2)

(1) الزمخشري ، الكشاف ، 112/2
(2) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 3 / 182

فالشمس تجرى لزمن محسوبٍ أيضا .

ودلالة الحساب الزمني موجودة - أيضاً - في موضع سورة فصلت .

وأن تكون المخلوقات والأكوان محكمة بقدر زمنى محددّ لها في مدّة الخلق وفي مدّة البقاء ، إنّما هي قدرة من الله الخالق ، وغلبة (عزّة) منه في التحكم بمقادير زمن الأكوان ، بما يعلمه سبحانه من صالح للحياة ، وذلك على وجهٍ لا يعجزه فيه جهل بأحوال الكائنات والصالح لها ، أو يمنعه ضعف من إنفاذ حكمته وتقديره ، ولذلك أضيف لفظ (تقدير) مع دلالة زمن الأكوان إلى اسميّ الجلالة (العزيز) و(العليم) .

فالدلالة التي لازمت إضافة لفظ (تقدير) للاسم الظاهر هي دلالة حساب الزمن، بينما جاء لفظ (تقدير) مرتين غير مضافٍ للاسم الظاهر، ولم تلازمه هذه الدلالة ، يقول تعالى ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الفرقان:2] ويقول سبحانه ﴿ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الإنسان:16]

- **قرّة عين - قرّة أعين :**

جاء لفظ (قرّة) ثلاث في القرآن الكريم، وفي جميعها أضيف للاسم الظاهر، وهي كما يلى:

1. ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة الفرقان:74]

2. ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [سورة القصص:9]

3. ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [سورة السجدة16 :17] .

والدلالة الجامعة بين هذه المواضع الثلاثة تتعلق بامور مترابطة :

أ) **الذرية** : فالتركيب في سورة الفرقان جاء مع دعاء أن تكون الذرية قرّة أعين ، وفي سورة القصص ترجوا امرأة فرعون أن يكون موسى قرة عين بأن يكون ولداً (ذريةً لها) ، ففي كلا الموضعين جعلت الذرية قرّة عين .

أمّا في الموضع الثالث في سورة السجدة لم يُصرّح بذكر الذرية ، وعلى الرغم من أنّ جزاء المؤمنين في الآخرة يتضمّن مالهم من حور عين وذرية﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾[سورة الطور:21] إلا أنه هناك إشارة في السياق إلى الذرية وذلك في قوله تعالى- ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾[سورة السجدة16] . فترك المضاجع ترك للذات الدنيا والانغماس فيها سعياً وراء الآخرة ، فكأنّ الآية تشير إلى تركهم الانغماس في طلب أسباب الذرية المعروفة في الدنيا ، ليتحقق لهم ما يريدونه في الآخرة ، ولتكون عبادتهم سبب رزقهم في الدنيا والآخرة .

ب) **موسى** عليه السلام : ففي سورة القصص كان موسى عليه السلام هو قرّة العين ، واختصّت السورة بالحديث عنه عليه السلام، وفي سورة الفرقان قدّم ذكر موسى عليه السلام على ذكر قوم نوح وعادٍ وثمود، وفي سورة السجدة لم يذكر من الأنبياء السابقين إلا موسى عليه السلام ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [سورة السجدة23 :24].

ج) **الإمامة** : اقترن لفظ (إماما) بالتركيب الإضافي في دعاء ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [سورة الفرقان:74]، وفي سورة السجدة جاء لفظ (أئمة) لمن اهتدى من بنى إسرائيل وذلك في الآية ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [سورة السجدة:24]، وفي سورة القصص جاء لفظ (أئمة) لأعداء بنى إسرائيل (فرعون وجنوده) وذلك في قوله تعالى﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة القصص:41]، وبعدها وصفٌ لكتاب موسى بأنه بصائر للناس ، يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة القصص:43]،

ولفظ (بصـــائر) له علاقة دلالية بتركيب (قرة عين) ، وكونه بصـــائر للناس وهدًى ورحمة يُذكّر بوصفه في سورة هود ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗ ﴾ [سورة الأحقاف:12].

والرابط ملحوظ بين كلٍّ من الذرية و الإمامة و موســى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو -عَلَيْهِ السَّلَامُ- جمع بين كونه في مقام ذرية امرأة فرعون وبين كونه صـاحب كتابٍ إمامٍ لغيره من الكتب السماوية وهو إمامُ المهتدين من أهل الكتاب .

والذرية والإمامة دعاء المؤمنين ، فالمؤمنون أئمة الهدى ، وأئمة لغيرهم ، وذرّيتهم قرّة عين لهم جزاءً حسناً من الله تعالى في الدنيا والآخرة، ومثال ذلك امرأة فرعون فهي من أئمة المهتدين، ورزقت بمن يكون لها خير ذرية - موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ- ورزقت بيتاً في الجنة ، بما يوحي به لفظ (بيت) من قرّة العين بالذرية ، يقول تعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾ [سورة التحريم:11] ومن ذلك يُدرك المغزى من هذه الأمور التي تجمع بين مواضع (قرّة عين - قرّة أعين)

وهو: أن جزاء المؤمنين الذين يضحّون في سبيل الله تعالى بلذات الدنيا (كبيت فرعون وله ملك مصر ، وكالخلود إلى المضاجع) الذرية الطيبة ، والإمامة والهدى في الدنيا والآخرة ، وتلك هي قرة العين التي أعطيت لامرأة فرعون في سورة القصص ، وهي دعاء المؤمنين في سورة الفرقان، وهي جزاء الله تعالى لهم في سورة السجدة، فمن خلال الجمع بين المواضع الثلاثة يظهر حُسن تقسيم القرآن الكريم للمضامين التي اشتركت في لفظ "قرّة" ، فلقد تنوّعت إلى دعاءٍ، وإجابة، ومثال عملي لمن يستحق الإجابة، فقد اكتملت أنواع الشيء الواحد من خلال الحديث عنه في مواضع متفرقة، يوصل إليها استخدام لفظ "قرّة" كعلامة للجمع بين أنواع الشيء الواحد.

ومن الملاحظ إفراد لفظ (عين) في تركيب (قرة عين) فلقد كان من الممكن جمع لفظ (عين) في سورة القصص ليكون (قرة أعين) فالمراد أن هذا الطفل قرّة (فرحة) عيني فرعون وعيني امرأته، فيمكن جمع لفظ (عين) لكن القرآن الكريم أفرد اللفظ في هذا الموضع دون غيره؛ ولعلّ ذلك مراعاة للمناسبة بأن يناسب إفراد لفظ العين سبب فرحتها، فهو طفل واحد وليس ذرية كثيرة،

وهي من بلاغة المناسبة، كما أنّ فيه تلطّفًا في طلب امرأة فرعون بأن تستصغر طلبها بإفراد (عين) استعطافًا لفرعون، خاصة وأنه كان يقتل كل ولد، وهو استعطاف للإنسان الذي من طبعه الشح، يمسك خشية الإنفاق، كمن يطلب من ملكٍ أن يهبه دارًا تؤيه ومزرعة يطعم منها، مستصغرًا الطلب عند من يخاطبه ليحنّ عليه، ولم يكن ذلك في دعاء الله تعالى لأنه سبحانه منزه عن الشح الذي يستصغر معه الداعي مسألته، ولا تنقص عطاياه من ملكه شيء.

- **مقام إبراهيم ـ مقام ربّه :**

جاء لفظ (مقام) مضافاً للاسم الظاهر أربع مرات ، **يقول تعالى :**

1. ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [سورة البقرة:125]
2. ﴿ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ [سورة آل عمران:97]
3. ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الرحمن:46]
4. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة النازعات:40]

ففي الموضع الأول في سورة البقرة والموضع الثاني في سورة آل عمران يأتى تركيب (مقام إبراهيم) مع حرص الآيات على الإشارة إلى الأمن الذى يجعله الله تعالى لمن دخل أعظم مكان في الأرض ، وهو بيت الله الحرام ، حيث القرب من الله تعالى .

وفي الموضع الثالث في سورة الرحمن والموضع الرابع في سورة النازعات يأتي تركيب (مقام ربه) مع بيان جزاء الله تعالى لمن خاف مقام ربه سبحانه، وهذا الجزاء هو الجنة، أعظم مكان يسعى إليه المؤمن، وهي دار الأمن، بعد الخوف من الله تعالى في الدنيا، فلا يخاف من دخل الجنة من موت أو عدوّ أو فقرٍ أو شيطان.

ويلاحظ أن الله تعالى يُبيّن أنه جعل البيت الحرام مثابة للناس، يقول الزمخشري عن معنى (مثابة): ((مباءَة ومرجعاً للناس)) [1] ويدلّ لفظ (مثابة) على الثواب، وهو ما يكون لقاصد بيت الله الحرام، كما أنّ الجنة جعلها الله تعالى ثواباً لمن خاف مقام ربه، وهو جامع عظيم من لدن حكيم عليم، إذ يجمع بين البيت الحرام والجنة، كما يجمع بين إبراهيم - وهو الآمن من النار- ومن اتبعه إلى يوم الدين، فالجنة جزاء من اتبع إبراهيم حنيفاً وهي عقيدة التوحيد، واتبع سنته التي شرعها الله تعالى لعباده المسلمين.

- **مكان زوج ـ مكان السيئة ـ مكان آية ـ مكان البيت :**

جاء لفظ (مكان) مضافاً للاسم الظاهر أربع مرات، **يقول تعالى** :

1. ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ﴾ [سورة النساء:20]

(1) الزمخشري، الكشاف، 172/1

2. ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ ﴾ [سورة الأعراف:95]
3. ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [سورة النحل:101]
4. ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة الحج:26]

وفي جميعها يرتبط ذكر المكان بالإبدال إلى الأحسن ؛ فهو إبدالٌ إلى الزوجة المرغوبة، وإبدالٌ إلى الحسنة (النعمة) ، وإبدالٌ إلى ما يكون صالحاً لأحوال الناس، كقوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ ﴾ [سورة البقرة:106]، وهو إبدالُ ما كان في البيت من أوثان ، إلى التوحيد ، أي من النجس إلى الطهارة .

فالدلالة التي لازمت لفظ (مكان) مضافاً للاسم الظاهر هي : الإبدال إلى الأحسن، ولم تلازم هذه الدلالة لفظ (مكان) في غير إضافته للاسم الظاهر، يدل على ذلك أن لفظ (مكان) جاء مضافاً إليه مع دلالة الإبدال، ولكن الإبدال إلى الأسوأ لا الأحسن .

فقد جاء لفظ (مكان) مضافاً إليه ثلاث مرات ، وبذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ﴾ [سورة يونس:22]
2. ﴿ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧ ﴾ [سورة إبراهيم:17]
3. ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [سورة النحل:112] فلفظ (مكان) مضافاً إليه جاء مع دلالة الإبدال من الحسن إلى الأسوأ ، فمن ريحٍ طيبة إلى ريح عاصف وموج ، ومن الحياة الدنيا إلى العذاب في جهنم دون خلاص ، ومن حياة الأمن والرغد إلى الجوع والخوف.

- **لباس التقوى ـ لباس الجوع :**

أضيف لفظ (لباس) للاسم الظاهر مرتين ، وذلك في قوله تعالى :

لِبَعْضٍ قَالَ ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ

أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

[سورة الأعراف24 :27]

2. ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [سورة النحل:112]

وفضلاً عن أن لباس التقوى يقابل لباس الجوع المرتبط بالكفر ، فإن لباس التقوى جاء في سياق إخراج آدم وزوجه من الجنة ، فتبدّل بهم الحال من مكانٍ حسن إلى مكان أسوأ ممّا كانا فيه ، وأنزل عليهم لباس التقوى نتيجة لخروجهم إلى المكان الجديد الأسوأ، وكذلك لباس الجوع فقد كان نتيجةً لتبدّل الحال إلى ما هو أسوأ .

فالدلالة الملازمة للفظ (لباس) مضافاً للاسم الظاهر هي تبدّل الحال من الرغد واليسر إلى الضيق والعسر.

- **تلقاء أصحاب النار ـ تلقاء مدين ـ تلقاء نفسي :**

جاء لفظ (تلقاء) في القرآن الكريم ثلاث مرات في جميعها مضافاً إلى الاسم الظاهر، وذلك في قوله تعالى:

1. ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف:47]
2. ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة القصص:22]
3. ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [سورة يونس:15]

الأصل أن (تلقاء) مصدر يفيد التلاقي ، فله دلالة أخرى أكثر من كونه ظرفاً بمعنى (عند) ، وإلا كان من الممكن أن يقال (عند أصحاب النار) أو (إلى أصحاب النار) ، وأن يقال (أبدله من عند نفسي) أو (أبدِله من نفسى) .

وقد جاء تركيب (تلقاء أصحاب النار) في الموضع الأول لرجالٍ على الأعراف بين أصحاب الجنة وأصحاب النار أى بين الخير والشر ولا يمكن أن يجتمع النقيضان (أصحاب الجنة وأصحاب النار) في مكان واحد .

وجاء تركيب (تلقاء مدين) في الموضع الثاني لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو بين مدينتين، مدينة خرج منها خائفاً من القتل ، ومدينة عمل وتزوج فيها ، فقد جاء لفظ (تلقاء) بين نقيضين لا يجتمعان ، هما قتل موسى وزواجه ، أي أن النقيضين هما الموت والحياة ، وقد كانت مدينة الخوف والقتل مدينة فرعون أي أنها مدينة الكفر أيضا ، وكانت مدينة العمل والزواج مدينة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فعاش فيها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع نبي الله شعيب يجمعهما الإيمان.

وجاء تركيب (تلقاء نفسي) على لسان رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذ طلب منه المشركون أن يبدّل هذا القرآن ، فجاء الرفض من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتّبع هوى الكفار ، فما كان له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يفترى على الله سبحانه ، أو أن يأتى بالوحى من عند نفسه، فلفظ (تلقاء) جاء بين نقيضين لا يجتمعان هما : الوحي والافتراء على الله تعالى ، أي بين الإيمان والصدق من جهة ، والكفر والكذب من جهة أخرى.

فإذا كان لفظ "تلقاء" يوصل إلى دلالة (وجود نقيضين متقابلين لا يجتمعان) الموجودة في المواضع الثلاثة التي تشترك في لفظ "تلقاء" ؛ فإن القرآن يريد بهذه الدلالة الشبه بين المواضع الثلاثة في نوع النقيضين، فالنقيضان هما : أصحاب الجنة وأصحاب النار، وهما أصحاب الزواج والإيمان من جهة وأصحاب القتل والكفر من جهة أخرى ، وهما أصحاب الكفر والافتراء من جهة وأصحاب الإيمان بالوحي من جهة أخرى، ففي الإيمان والتصديق بالوحى كما أنزل الله تعالى حياةً للقلوب ، كالحياة التي تكون في الزواج والعمل ومعاشرة المؤمنين ، وهي حياة تسير بأصحابها إلى الجنة، وفي الافتراء على الله تعالى والتكذيب بوحيه موات للقلوب ، كموت الأبدان بإرهاق أرواحها ، والكفر هو الذى يقود أصحابه إلى النار.

وهناك شبه أيضاً بين من هم في التلقاء نفسه، أى بين الذين هم تلقاء النقيضين، فهم: رجال على العراف ، وموسى عليه السلام، ومحمد ﷺ ، فهم جميعاً من صفوة المؤمنين .

- **مال اليتم – مال الله :**

جاء لفظ " مال " مضافًا الاسم الظاهر ثلاث مرات ، وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ...﴾ [سورة الأنعام:152]
2. ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الإسراء:34]
3. ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ﴾ [سورة النور:33]

ففي الموضعين الأول والثاني يأمر الله تعالى بالحفاظ على مال اليتيم ، وقد جاء ذلك مع أمره سبحانه بالوفاء بالعهد ، لأنّ مال اليتيم مودع عند الولى بعهد الحفاظ عليه .

وفي الموضع الثالث مع تركيب " مال الله " يأمر الله تعالى بمكاتبة العبد الذى يرغب في افتداء نفسه ، وذلك من باب الحث على العتق ، والمكاتبة هي – كما يقول الزمخشري - : ((أن يقول الرجل لمملوكه كاتبك على ألف درهم . فإن أداها عتق ، ومعناه : كتبت لك على نفسي أن تُعتَق منى إذا وافيت بالمال))[57] فالمكاتبة عهد بين الولي وعبده ، والله تعالى لا يأمر بالمكاتبة فقط ، وإنما يأمر أيضًا بأن يعطى الولى عبده من المال ما يساعده على العتق ،

([57]) الزمخشري ، الكشاف ، 292/3

ويحثّ سبحانه وتعالى على إعطاء المال للعبد عن طريق إضافة المال إلى لفظ الجلالة في تركيب " مال الله " ، يقول أبو السعود في تفسيره : ((وإضافة المال إليه تعالى ، ووصفه بإيتائه إيّاهم ، للحثّ على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به ، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [سورة الحديد:7] فإن ملاحظة وصول المال إليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقى له من أقوى الدواعى إلى صرفه إلى الجهة المأمور بها))[58].

فكلٌ مِن اليتيم والعبد المكاتَب بينه وبين الولي الذى يرعاه عهد إلى حين الكبر أو العتق، ومع تركيب " مال اليتيم " ينهى الله تعالى الولي عن الاقتراب من مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، فهو مستخلف فيه ، ومع تركيب " مال الله " ينسب المال إلى الله تعالى الذى أعطاه إلى الولي، ويُؤمر الوليُ بإيتاء المال إلى عبده ، فهو إذًا مستخلف فيه إلى حين ، كالولي المستخلف في مال اليتيم إلى حين .

وهذا التلازم الدلالي بين التركيبين من شأنه إثارة مشاعر الرحمة نحو العبد المكاتب، فهو كاليتيم يحتاج إلى الرعاية والعون .

(58) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ، 457/4

فالدلالة التي لازمت لفظ " مال " مضـــافًا للاســـم الظاهر هي : وجود العهد بين طرفين لأحـدهمـا ســـلطـة (ولايـة) على الآخر إلى حين، والولي مـأمور بـالرحمـة والإحسان إلى من يتولاه.

- **نساء العالمين – نساء النبي – نساء المؤمنين :**

أضيف لفظ " نساء " للاسم الظاهر أربع مرات[59] وذلك في قوله تعالى :

1. ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران:42]
2. ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾[سورة الأحزاب:30]
3. ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [سورة الأحزاب:32]
4. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

[سورة الأحزاب:59]

والموضع الأول جاء مع الحديث عن مريم ه، لتفيد الآية أنها – ه– أفضل نساء العالمين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يدلّ السياق في سورة آل عمران على اعتزالها الناس في المحراب للعبادة ، وهو ما تحدثت عنه سورة مريم مقرونًا بلفظ "الحجاب".

(59) أضيف لفظ نساء للاسم الظاهر أربع مرات ، كما جاءت سورة النساء رقم (4) في ترتيب سور المصحف الشريف ، وهو العدد الذى يحلّ للمسلم الزواج به من النساء .

يقول تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ۝١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ [سورة مريم 16 :17].

والمواضع الثلاثة الأخرى في سورة الأحزاب يشرع الله تعالى لفضليات النساء ما يستوجب لهنّ من عفّةٍ في الخلق والقول والملبس ، فالحديث فيها يجمع بين تشريع الحجاب ورفعة هؤلاء النساء ، فالعذاب ضعفين لأنهنّ أبعد ما يكنّ عن الخطأ ، وهنّ لسن كأحد من النساء ، ولا ينبغي أن يعرفن حتى لا يؤذين ، وذلك في سياق النهي عن أذى الرسول ﷺ .

فالدلالة التي لازمت لفظ " نساء " مضافاً للاسم الظاهر هي : الدلالة على فضليات النساء ، وما يتعلّق بعفتهنّ ووقارهنّ واحتجابهنّ.

- **استخلاص الفوائد البلاغية :**

ومن الممكن استخلاص عدد من الفوائد البلاغية المأخوذة من الجمع بين مواضع اللفظ المضاف للاسم الظاهر :

1- **إيضاح علّة التشريع** : وهي مأخوذة من الجمع بين تركيبين يشترك سياقهما في الحديث عن حكم واحد ، شرعه الله تعالى لعلّة واحدة ، لا يصرّح السياق بها، وذلك مثل تركيب " حاضري المسجد الحرام " وتركيب " حاضرة البحر" فلقد كان القرب من المكان علة المنع.

2- **الارتقاء بالمفاهيم الجزئية** : يكون ذلك بتوسيع الفكرة المرتبطة بجزئية محدّدة، مثل ما يستفاد من الجمع بين تركيب " إخوان الشياطين " للمبذرين ، وتركيب " إخوان لوط "فكل من يستحق وصف مبذر ويكون من إخوان الشياطين هو كل من يفسد مقومات الحياة من المال أو الحرث أو النسل ، وفوق ذلك الدين ، وهو بذلك يستحق العقاب

3- **إثارة مشاعر الرحمة** : وذلك بأن يكون الجمع بين تركيبين ، يظهر تعلّق أحدهما بمشاعر الرحمة فتنسحب تلك المشاعر للتركيب الآخر ، وهو مثل الجمع بين تركيب " مال اليتيم " وتركيب "مال الله" .

4- **الامتنان**: وذلك بأن تشير الدلالة المشتركة بين التراكيب إلى نعمة من نعم الله تعالى ، اختصّ بها فئةً من الناس، فيجمع هذا اللزوم الدلالي بين من أعطاهم الله تعالى هذه النعمة حديثاً ومن هم أصحاب النعمة قبلهم ، فمثلاً تراكيب : "أم الكتاب " ، " أم القرى " ، " أم موسى " تلازمها دلالة الوحي، والوحي صفة لازمة لأم الكتاب ، ونعمة أنعمهما الله تعالى لأم موسى قبل نزول القرآن الكريم، والوحي نعمة حديثة لأم القرى (مكة) وقد كان أهلها يتمنّون أن ينزل عليهم كتاباً كأهل الكتاب . فكان في اللزوم الدلالي امتنان من الله تعالى بأن أختصّ مكة لتكون مهبط الوحي الخاتم ، وأن ينزل فيها القرآن الكريم ، كما أن القرآن الكريم في أم الكتاب عند الله تعالى، وكما اختصّ الله تعالى أم موسى بالوحي هداية ونجاة لها .

5- **التأكيد على الامتثال للأمر في كل أحوال المأمور به** : وذلك بأن يكون هناك تركيبان يشتركان في أمر واحد من أوامر الله تعالى، لكن مرّة يكون الأمر مع ثقله على النفس ، ومرّة أخرى مع ارتياح النفس له . ومثل تركيب " أبا أحدٍ " الذي جاء لقطع صلة تبني رسول الله ﷺ لزيد ، وتركيب " أبي لهب " الذي جاء مع الحكم على أبي لهب بالخسران، وهو ما يقتضي قطع صلة قرابته من الرسول ﷺ ، ففي كلا التركيبين قطع لصلة القرابة ، مرّة مع حب رسول الله لزيد ومرّة مع وجود العداوة بين الرسول ﷺ وأبي لهب .

6- **الحثّ** : وذلك بالجمع بين العمل الصالح والجزاء الحسن . مثل الجمع بين تركيب "مقام إبراهيم" وتركيب "مقام ربه".

7- **الزجر** : وذلك بأن يُجمع بين تركيبين أحدهما هو المأمور فعله في العبادة ، والآخر منهي عنه، مثل الجمع بين تركيب " مرضاة الله " وتركيب " مرضاة أزواجك ".

8- **التحذير** : وذلك أن يُجمع بين تركيبين أحدهما يأتي لشرٍ معروف قديم ، والآخر لشرٍ خفيٍ جديد ، فيأتي اللزوم لإيضاح خطورة الشر الجديد والتحذير منه لأنه كالقديم ، إذ يدلّ اشتراك التركيبين في لفظ المضاف على الشبه بينهما في الخطورة ، مثل اللزوم الدلالي بين تركيب " شفا حفرة " وتركيب " شفا جرف ".

9- **التبشـيع :** وذلك بأن يأتي اللفظ المضـاف بالنهي عن الفعل في أبشـع صـورة، وذلك مثل تركيب "قتل أخيه" وتركيب "قتل أولادهم" .

10- **الوعيـد :** وهو أن يكون أحد التركيبين أمر من الله تعـالى ، ومع الثـاني عقابٌ لمن خـالف هـذا الأمر ،وذلـك مثـل اللزوم الـدلالي بين تركيـب " لبـاس التقوى " وتركيب " لباس الجوع " .

11- **التعظيم :** وذلك بأن يصرح أحد التراكيب بعظمة ما يتحدث عنه ، مثل اللزوم الـدلالي بين تركيـب " بـالغ الكعبـة " وتركيـب " بـالغ أمره " الـذي جـاء مع الحديث عن حرمة الأسـرة ، وأحكام الطلاق ، فيفيد اللزوم الدلالي تعظيم حدود الله تعالى فيما يتعلّق بحرمة البيت المسلم .

12- **التكامل :** وهو أن يجمع اللفظ المضـاف بين مواضـع تكمل بعضـها بعضـاً في معنى من المعاني ، مثل مواضـع تركيبي "قرة عين" "قرة أعين" فجاءت مع الدعاء والإجابة ومثـال لها.

13- **التأكيد على إلحاق وصـفٍ أو معنى والتذكير به :** وهو بأن يكون في أحد مواضع اللفظ المضاف التصريح بوصف أو معنى ولم يصرّح به في الموضع الآخر لعدم علاقته المباشرة بالسياق ، وذلك مثل تركيب " بضع سنين " ، فقد جاء في سـورة يوسـف مع وصـف يوسـف عليه السلام بالصـديق ، وجاء في سـورة الروم مع وعد الله تعالى بانتصـار الروم بعد بضـع سـنين ، ويذكر التفسـير المأثور أن الكفار راهنوا أبا بكرٍ الصديق رضى الله عنه على صدق هذا الوعد.

14- **إيضــاح المعنى المراد من الســياق :** وذلك بأن تكون الدلالة الملازمة مثالاً للمعنى المراد من الســياق ، مثل اللزوم الدلالي لتركيب " عبد الله " ، إذ جاء مرّة على لســان عيســى بن مريم عليه السلام وهو رضــيع يكلّم الناس ، ومرّة لرســول الله محمد صلى الله عليه وسلم في ســياق كلامه مع الجنّ ، ففي كليهما لا يوجد تكافؤٌ في طرفي الكلام مما يجعله مســتحيلاً في العادة ، فكيف يصــحّ الادّعاء باتخاذ الله تعالى مريم صاحبةً دون تكافؤٍ بين الطرفين ؟!

15- **إيضـاح المعنى في تركيب بوضـوحه في تركيب آخر :** فيكون اللزوم الدلالي بين تركيبين يظهر في أحدهما معنىً هو المراد توضحيه في التركيب الآخر ، وذلك مثل اللزوم الدلالي بين تركيب " حبل الله " وتركيب " حبل الوريد ".

- **وهناك فوائد عامة هي :**

أولاً : لفتُ ذكاء القارئ: حيث يتذكر مواضع أخرى جاء فيها اللفظ المضاف، فيســتحضــر موقعه التركيبي داخل الســياقات الأخرى، ويلتفت إلى دلالة اللزوم مع أنها دلالة جزئية في السياق.

ثانياً : وحدانية المنزل ســـبحانه وحفظه للتنزيل : فاللزوم الدلالي يؤكد على وجود علاقة بين الســـياقات المتغايرة ، مع طول فترة التنزيل فيما بينها ، فهي ســـياقات تكمّل بعضـــها البعض ، وتؤدي إلى دلالة واحدة مع تعدّد مضـــامينها ، وهو ما يدلّ على أن هذه الســـياقات من لدن حكيم عليم ،وهو مُنزِلٌ واحد لجميع هذه الســـياقات التي لم يدخلها الافتراء عليه ســـبحانه وتعالى ، فلو كان القرآن الكريم من عند غير الله تعالى لوجدنا اختلافاً كثيراً يحول دون الوصول إلى دلالة جامعة بين السياقات متعدّدة المضامين.

ثالثاً : دقّة الربط القرآني : وذلك بربطه بين ســـياقات متغايرة بدلالات جزئية ، فاللزوم الدلالي يبيّن أن الدلالات الجزئية في السياق محكمة ومنظمة ، وأن القرآن الكريم لا يأتى بها حشواً للمعنى ، وإنما تكون هذه الدلالات الجزئية نظاماً مبهراً وجميلاً لأنســاق متبدّلة تتوحّد في الموقع الإعرابى للفظٍ من ألفاظها ، وكأنّ التراكيب الإضافية التي تشترك في لفظ المضاف حبّات نظم أو نقاط مشـعة أو مراكز إحســاس تدلّ على وجود دلالة دقيقة تربط بين الأنســاق المتغايرة .

رابعاً : الإعجاز المخالف لنظام كلام البشر: إذ أنّ نظام الكلام عند البشر يقوم على وجود المعنى داخل النفس ثم وضعه في أشكال النحو، فإذا كان الأمر كذلك ، فإن النحو يتشكّل تبعاً للدلالة ، فالنحو يتوخى معانى النفس ، فهو تابع للمعنى، أما فكرة اللزوم الدلالي للتركيب الإضافي في القرآن الكريم تفيدُ أن الدلالة الملازمة تتبع (تصاحب) التركيب النحوى، أى أن الدلالة تتبع النحو، فلا يستطيع أن يلتزم أحدٌ من البشر بدلالة واحدة تتبع اللفظ في موقع نحوي بعينة مع تغاير السياقات ، ولا تتْبع هذه الدلالة اللفظَ نفسه في غير هذا الموقع النحوي .

فهو إعجاز لا يستطيع احتذاؤه بليغ ، ولا يمكن الابتكار فيه أو التقليد ، وأقل ما يوصف به أنّه أسلوب قرآني فريد ، يدعو إلى البحث في عمق النصّ القرآني بأنظارٍ متجدّدة.

ولله الأمر من قبل ومن بعد ، والحمد لله رب العالمين.

توثيق

المصادر والمراجع

1 – أحمد الحملاوي : شـذا العَرْف في فنّ الصـرف ، المطبعة الأميريّة ، القاهرة ، 1329 هـ .

2 – د . أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1417 هـ - 1996 م .

3 – الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (1270 هـ) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د . ت .

4 – أبو بكر جابر الجزائري: منهاج المسلم ، دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الثانية .

5 – الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (429 هـ) : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985 م

6 – الرازي ، محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر (604 هـ) : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) دار الفكر ، بيروت ، 1415 هـ - 1995 .

7 – الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (794 هـ) : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية .

8 – الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (538 هـ) :

□

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، مكتبة مصر ، القاهرة، د . ت

. 9– أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (982 هـ) : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1419 – 1999 .

10– السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (911 هـ) : الإتقان في علوم القرآن ،دار الندوة الجديدة ، بيروت ، د . ت .

11- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (310 هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع دار هجر، دار هجر، الطبعة الأولى.

12- ابن عاشور، محمد الطاهر، (1393هـ) التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م .

13– ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (774 هـ) : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق/ محمد ناصر الألباني ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، 1423هـ، 2002 م.

14- د. محمد حسين هيكل، حياة محمد ﷺ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2001م

15 – محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة، 1417هـ - 1996 م .

16 – ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (711 هـ) : لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، طبعة بولاق ، د. ت .

□

المؤلف في سطور



يدرس هذا الكتاب ظاهرة غريبة لم أجدها إلا في النص القرآني، وهي استعمال اللفظ مضافًا في عدّة مواضع مختلفة في المضمون، وبين هذه المواضع دلالة مشتركة، وبذلك يصبح اللفظ المضاف أيقونة (علامة) للوصول إلى دلالة مشتركة بين النصوص المتعدّدة، فمثلًا لفظ (عبد) المفرد جاء في التركيب الإضافي مرتين في القرآن الكريم ، الأولى عندما نطق المسيح عليه السلام في المهد مخاطبًا الناس ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [سورة مريم:30] والثانية في وصف رسول الله محمد ﷺ ، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩﴾ [سورة الجن:19] فعند قراءة كل موضع منفردٍ لا تظهر الدلالة المشتركة بين هذين الموضعين اللذين يشتركان في تركيب (عبدالله) لكن من خلال الجمع بينهما نجد أن في كلا الموضعين دلالة تحقيق عملية كلامٍ غير متكافئة الطرفين، ففي الموضع الأول الرضيع يُكلِّم الكبير، وفي الموضع الثاني الإنس يُكلِّم الجن.

فهي ظاهرة فريدة تفتح بابًا لقراءة جديدة للنص القرآني، وتكشف عن دلالات خفيَّة.